الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique Et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة آكلي محند أولحاج
البويرة
كلية اللغات و الأدب العربي

جامعة البويرة

Ministère De L'enseignement Supérieur
Et De La Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj
-Bouira--
Faculté des lettres et des langues

تخصص: أدب عربي.

سيميائية العنوان في رواية

"الاعتداء"–"الصدمة"

لياسمينة خضراء – أنموذجا –

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر

إعداد الطلبة:

- زوان فاطمة الزهراء.
- نايلي جهيدة.

تحت إشراف الأستاذة:

– بوعامر كريمة

السنة الجامعية:
2015/2014

تشكر

اللهم لك الحمد على التوفيق للحمد،

ولك الشكر أن أجريت على لساننا كلمات الشكر لك

ولك الثناء أن سخرّت لنا من أشرف على هذا البحث وتتبع كل خطواته.

يقولون: العناوين افتضاح... العناوين انتماء...

ونحن نقول: أنت سر...

أنت عنواننا...

أنتي سطر... لا يحب الانتهاء....!

إلى الأستاذة... "بوعامر كريمة"

إهداء

أيها العنوان الذي يقرأ منذ اللحظة الأولى...

ولا يقرأ أبدا...

أنت علمتني أن أموت لتحيا...

أن أعيش فقط ليتشظى جسدي...

أيقونات ثناء تعلن وجودك...

أنت علمتني... أنك واحد لا اثنان...

أنه لا بديل عنك...! يا أبي "الحنون" (زوان بشير)

إلى عنوان الوفاء، الحب والتضحية...

إلى من غمرتني بسيميائيتها الولوعة بنبض الحياة...

لم تكل... ولم تشق... وأوصلتني إلى الدرب الذي هو عنوان النجاه...

إلى عنوان حياتي ووجودي... أمي الغالية.

إلى القلوب الطاهرة الرقيقة والنفوس البريئة...

إلى رياحين حياتي... إخوتي.

إلى كل من أحبتهم وأحبوني.

إهداء

الماس الذي لا ينكسر... نبع العطاء الذي زرع الأخلاق بداخلي

وعلمني طرق الارتقاء...إلى أبي عبد القادر

إلى من تعجز الكلمات عن وصفها وتسكن أمواج البحر لسماع اسمها... إلى أمي عائشة

إلى الذي ساندني ووقف إلى جانبي حتى وصلت هذه المرحلة من التقدم والنجاح...إلى فرحتي... زوجي مراد.

إلى الزهرة التي لا تذبل... نبع الحنان... إلى حماتي .

إلى ملائكة الأرض... رياحين حياتي أولادي... لمياء وإسلام وسيرين.

إلى شقائق النعمان... الذين احتضنوني وزرعوا الورود في طريقي... إلى أشقائي.

إلى أروع وأصدق وأمبل البشر... شقيقتي وهيبة.

إلى ذكرى حاضرة رغم غيابها... أختي المرحومة حياة.

إلى كل من قال لا أله إلا الله محمد رسول الله.

لكم جميعا أهدي سهري وتعبي وجهدي.

خطة البحث:

مقدمة:

- **الفصل الأول: ماهية السيميائية.**

ـ المبحث الأول: مفهوم السيميائية.

1- لغة.
2- اصطلاحا.

ـ المبحث الثاني: موضوع السيميائية.

1- العلامة عند دي سوسير.
2- العلامة عند بيرس.

- **الفصل الثاني: ماهية العنوان.**

ـ المبحث الأول: مفهوم العنوان.

1- لغة.
2- اصطلاحا.

ـ المبحث الثاني: سيميائية عنوان "الاعتداء" و "الصدمة".

1- سيميائية عنوان "الاعتداء"
2- سيميائية عنوان "الصدمة"

ـ المبحث الثالث: وظائف العنوان.

1- الوظيفة التعيينية.
2- الوظيفة الوصفية.
3- الوظيفة الإيحائية.
4- الوظيفة الإغرائية.

- **الخاتمة.**
- **الملاحق.**
- **قائمة المراجع .**

مقدمة

مقدمة:

إننا نعيش اليوم، في إمبراطورية العلامات، في عصر ينسم بالتعقيد، و التواصل البصري، لذلك يتطلب كل منا، التسلح بالمشروع السيميولوجي للدخول في مغامرة علاماتية قصد الإلمام بالمحيط الذي يواجهنا و الابتعاد عن الثرثرة الزائدة، والكتابات الطويلة المملة، و العناوين تلعب دورا سيميولوجيا كبيرا في إمبراطورية العلامات فهي عبارة عن أنظمة دلالية سيميولوجية، تعمل في طياتها قيما أخلاقية، واجتماعية، وإيديولوجية.

لذلك أولت السيميولوجية طيقا أهمية كبرى للعنوان، باعتباره مصطلحا إجرائيا ناجحا في مقاربة النص الأدبي ومفتاحا أساسيا يتسلح به المحلل للولوج إلى أغوارا لنص العميقة قصد استقطافها وتأويلها، لذا فإن عتبة يطودها الباحث السيميولوجي، هو استقراء العنوان، بصريا ولسانيا، أفقيا وعموديا، حتى يتمكن من تفكيك النص، من أجل تركيبه، عبر استخراج بنياته، الدلالية و الرمزية وأن يضيء لنا ما غمض في النص، فالعنوان مفتاح تقني يجس به السيميولوجي نبض النص وتراسباته البنيوية وتضاريسه التركيبية.

ومما تقدم نخلص أن إجراءات سيمياء العنوان يمكنها أن تجيب على التساؤلات التي أسهمت في تبلور فكرة البحث وصياغة إشكالية في الأسئلة التالية: ماهية علاقة السيمياء بالعنوان؟ وماهية علاقة العنوان بنحوي النص؟ هل يمكن تطبيق المقاربة

السيميائية في إجراءات سيمياء العنوان على رواية "الاعتداء" أو "الصدمة" ليا سمينة خضراء؟ وماذا يمكن أن تقدمه هذه المقاربة في إعادة تشكيل فهمنا للنص الروائي؟ وماهية الخصائص ومميزات كل من "الصدمة" و "الاعتداء" في النص الروائي؟.

ومن بين دوافع اختيار هذا الموضوع رغبتنا في معرفة مدى استجابة هذه المناهج الحديثة في محاولتها قراءة النص الروائي بما يسهم ولو بشكل يسير في فتح أفق لقراءة تعمق فهمنا للإبداعات الروائية من مختلف جوانبها.

كما نهدف منت وراء هذا البحث إلى توجيه الأنظار نحو الأدب الجزائري التي تتلقى الإبداع بالغة العربية اتجاهه، و الحقيقة أنها ليست مشكلة جزائرية فقط، إنما مشكلة مغاربية ونتاج سيطرة لغة المستعمر لفترات طويلة من الزمن على بلدان المغرب العربي، والغريب أن مشكلة الأدب ألمغاربي – ومنه الجزائر– المكتوب بلغة المستعمر القديم لا تزال مطروحة ليس بسب اللغة فقط، وإنما بسب النظرة الجاهزة المدينة لكل ما كتب بلغة الأخر حتى ولو لم يكن اختيار من الكاتب، والأمر الذي تسبب في تشبه قطيعة فيما بيننا وبين البلدان العربية في مجال الثقافي و الأدبي بشكل خاص، ليس هذا فحسب بل إننا نشكو من ضعف التواصل الأدبي بيننا حتى داخل الوطن الواحد، هذا في الوقت الذي أصبحنا فيه نعيش في عالم يشبه القرية الصغيرة.

ولدراسة هذا الموضوع سرنا وفق الخطوات المنهج اللساني السيميائي وما أتاحته إجراءاته في دراسة عتبات النص بدءا من العنوان شكلا ومضمونا وكل التفاصيل التي

بإمكانها أن تصبح علامات قابلة للقراءة، معتمدين في ذلك على كل ما قدمته اللسانيات والسيمياء في مجال العنونة.

وللإجابة على أسئلتنا البحثية تضمن البحث فصلين، فصل للجانب النظري وفصل زاوجنا فيه بن النظري والتطبيقي.

خصصنا الفصل الأول لماهية السيميائية، لذا كان أول مبحث في هذا الفصل مفهوم السيمياء ففي أحضانها ولد الاهتمام بالعنوان كعلامة قصديه دالة وجب الإحاطة بمعرفتها قبل الانتقال إلى دراسة سيمياء العنوان مدار اشتغال بحثنا، وعليه كان المبحث الثاني حول مفهوم العلامة عند كل من "دي سوسير" و "يرس" وهنا نتوقف مع السيمياء لنبدأ الفصل الثاني مع العنونة بتعريف العنوان لغة واصطلاحا، في أول بحث لنؤسس في الثاني مبحث المدخل الأساسي لهذا البحث أين طبقنا السيمياء العنوان على رواية الصدمة لياسمينة خضراء، التي حملت عنوان "الاعتداء" في نسختها الصادرة باللغة الفرنسية وجعلنا المبحث الثالث متضمنا لوظائف العنوان بشقيه النظري و التطبيقي.

أما خاتمة البحث فتضمنت النتائج التي توصل إليها البحث وأهمها إمكانية تطبيق المقاربة السيميائية على النص الروائي.

إن البحث السيميائي في مجال سيمياء العنوان لا يزال يخطو خطواته الأولى لتأخر مسيرة البحث فيه عند مؤسسيه، فكيف بها عند المتلقين المترجمين، لذا يعاني

ميدانها من نقص المراجع على مستوى التنظير، فضلا عن نقصها على مستوى الدراسات التطبيقية.

وعليه فالمراجع التي دعمت هذا البحث كانت قليلة، إضافة إلى اختلاف رؤيتها في تطبيق إجراءات سيمياء العنوان، مثال ذلك سندنا في هذا البحث كتاب "معجم السيميائيات" لفيصل الأحمر، كتاب "سيمياء العنوان" لسيام طقوس، كتاب "عتابات جيرار جنيت من النص إلى المناطق" لعبد الحق بالعابد، وغيرها من المراجع.

ومن الصعوبات التي واجهتنا في هذا البحث حادثة موضوع وطبيعة طرحه فميدانه يعاني من نقص المراجع خاصة في الدراسات التطبيقية من جهة ومن جهة ثانية أخرى نقص خبرتنا كباحثين في بداية التكوين لشق الطريق نحو البحث العلمي.

وفي نهاية البحث، لابد من كلمة شكر وعرفان وتقدير لكل من أسهم من قريب أو بعيد في إخراج هذا البحث إلى النور، ونخص بالذكر الأستاذة الفاضلة: بوعمار التي تكفلت برعاية هذا البحث و الإشراف عليه مذ كان مشروعا إلى أن يرقى ويكتمل في هذه الصورة.

ونسأل الله التيسير والعون في أن نصل إلى خدمة اللغة العربية وبالله التوفيق وله الحمد و الشكر كما لجلال وجه وعظيم سلطته فهو المتفضل بالنعم أولا وأخرا.

الفصل الأول:

ماهية السيميائية

المبحث الأول: مفهم السيميائية.

1- لغة:

تؤكد معظم الدراسات الغوية أن الأصل اللغوي لمصطلح "sémiotiqne" يعود إلى العصر اليوناني فو آت من الجذر اليوناني (séméion)، الذي يعني (علامة) و (logos) الذي يعني الخطاب، وبامتداد أكبر كلمة (logos) تعني (العلم) فالسيمولوجيا هي علم من علامات[1]، كما وردا هذا المصطلح (السيماء) و(السيمياء)، بياء زائدة: لفظان مترادفان لمعنى واحد، وقد ورد ذلك في كتاب الله، ولكن مقصورا غير ممدود، أي بلا همزة (سيما)، قال الله تعالى:﴿ سيماهم على وجوههم من أثر السجود﴾ [الفتح: 25]، ويقول عز وجل: ﴿تعرفهم سيماهم﴾ [البقرة: 273]، فكلمة(سيماهم) توئدي معنى العلامة حسب بعض التفاسير التي تطرقت إليها هذه الآيات، يعني السمت الحسن وهو الأثر في الوجه[2]، كما جاء في لسان العرب أن: السومة والسيمة والسيماء والسيمياء، العلامة، وسوم الفرس: جعل عليه التسيمية وقوله عز وجل ﴿حجارة من طين مسومَة عند ربك للمسرفين﴾، قال الزجاج: روى عن الحسن أنها معلمة ببياض وعمره، وقال غيره: مسوَّمة بعلامة يعلم بها أنها ليست من حجارة الدنيا، قال أبو بكر: قولهم عليه سيمَا حسنة معناه علامة، وهي مأخوذة من وتَسَمَتْ أَسمُ، وقيل: الخيل المسومة هي التي عليها السَّيما والسُومة وهي العلامة، سوم

1- ينظر: فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، الدار العربية للعلوم، ط1، لبنان 2010، ص12.

2- الحافظ أبي فداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن الكريم، دار حزم،ط1، لبنان، 2000، ص1741.

فلان فرسه إذ أعلم عليه بحريره أو بشيء يعرف به، قال: "والسيماياؤها في الأصل واو، وهي علامة يعرف بها الخير و الشر".[1]

2- **اصطلاحا:**

من المعروف أن علم السيميائيات علم حديث النشأة، لذا لم يظهر إلا بعد أن أرسى السويسري "فرديناند دي سوسير" أصول اللسانيات الحديثة في بحر القرن العشرين، ولأنه علم استمد من أصوله من مجموعة من العلوم المعرفية، فإن مهمة تحديده وإعطاء مفهوم عام له من الأمور الصعبة جدا، لهذا السبب تعددت الآراء في تعريفه، وفي تحديد مصطلح دقيق له، سواء في اللغات الغربية أو في اللغة العربية، لقد عرف هذا العلم فوضى مصطلحية كبيرة جدا، وأخذا زويا نظرة معتمدة، لهذا سنحاول الإلمام بمختلف التسميات الشهيرة لمصطلح، فمثلا عند الغرب يشير "عز يماس" إلى أهم المصطلحات المتقاربة لهذا المفهوم حيث يقول: وهي في رمتها تقبع في المعاجم السيميائية المختصة، أبرزها: (sémiotique sémiologie. sémasiologie .sémanalyse).[2]

ورغم هذه التعددية للمصطلح الغربي إلا أن أشهرها على الإطلاق وهما "sémiologie" الفرنسي و "semiotics" الإنجليزي ففي بدابة القرن الماضي بشر عالم اللسانيات السويسري فردناند دو سوسير بميلاد علم جديد أطلق عليه اسم

1- إبن منضور، لسان العرب، مادة (سوم)، مجلد7، ط1، 2004، ص318.

2- فيصل الأحمر،معجم السيميائيات، ص13.

"السيميولوجيا" ستكون مهمته كما جاء في دروسه التي نشرت في بعد وفاته (1916) هي دراسة حياة العلامات داخل الحياة الإجتماعية، حيث يقول عن السيمياء في كتابه محاضرات في علم اللغة: "أنها العلم الذي يدرس حياة العلامات من داخل الإجتماعية ونستطيع إذا أن نتصور علما يدرس حياة الرموز و الدلالات المتداولة في الوسط المجتمعي، وهذا العلم يشكل جزء من علم النفس العام ونطلق عليه مصطلح علم الدلالة (السيميولوجيا)، وهو علم يفيدنا موضوعه الجهة تقتنص بها الدلالات و المعاني، ومادام هذا العلم لم يوجد بعد فلا نستطيع أن نتنبأ بمصيره، غير أننا نصرح بأن له الحق في الوجود، وقد نحدد موضوعه بصفة قبلية وليس علم اللسان إلا جزء من هذا العلم العام وسيبين لنا هذا العلم ما هو مضمون الإشارات، وأي قوانين تتحكم فيها"[1]، إن دي سوسير كما نرى قد تصور وجود هذا العلم وبين اشتقاقه وأصله، كما حدد موضوعه، ونادى بحقه في الوجود ووصف علاقة هذا العلم الآتي الذي لم يكن قد ولد بعد، بكل من علم اللسان الذي سيكون جزء منه، كما بين وظيفته وأهميته في صيان مدلولات الإشارات و معرفة قوانينها التي تحكمها، إن دي سوسير يرى أن اللسان نسق من العلامات التي تعبر عن المعنى وفي نفس الفترة التاريخية تقريبا كان الفيلسوف الأمريكي شارل سندرس بورس في الضفة الأخرى من المحيط الأطلسي يدعو الناس إلى تبين رؤية جديدة في التعاطي مع الشأن الإنساني، حيث يرى أن النشاط البشري بمجمله نشاط سميائي وبطبيعة الحال فإن النشاط اللساني هو نشاط

1- ينظر: بير غيرو، السيمياء، ترجمة أنطوان أبي زيد، منشورات عويدات، ط1، بيروت لبنان، 1984، ص50.

اللساني هو نشاط سيميائي لأنه جزء من النشاط البشري[1]، ويقول بيؤس عن نفسه: "إنني وحسب علمي الرائد أو بالأحرى أول من ارتاد هذا الموضوع المتمثل في تفسير وكشف ماسميته (السيميوطيقا) أي نظريته الطبيعية الجوهرية و الأصناف الأساسية لأي سيميون محتمل، إن هذه السيميوطيقا التي يطلق عليها في موضوع آخر المنطق تعرض نفسها كنظرية للدلائل وهذا ما يربطها بمفهوم السيميوز يس الذي على النحو دقيق الخاصية المكونة للدلائل"[2]، فلم تعد ثمة أسباب أو مبررات تجعل أحد المصطلحين يحظى بالسيادة دون الآخر، بينما يرى آخرون" أنه يمكن تخصيص مصطلح السيميولوجيا بالتصور النظري، ومصطلح السيميوطيقا بالجانب الإجرائي التحليلي فتكون السيميولوجيا نظرية عام والسيميوطيقا منهج تحليلي نقدي.[3]

وقد عرف هذا المصطلح أثناء نقله إلى العربية فوضى كبيرة ناتجة عن عدم فهم ووعي جيد للمصطلح، وقد يكون ذلك بسبب محاولة تطويعه ليتماشى وسلاسة اللغة العربية، كما قد يرجع ذلك إلى التعصب كثير من الباحثين للتراث، فيحاولون إيجاد مقابل له في تراثنا العربي، ومهما تكن الأسباب و الدوافع فقد تعددت الدوال لهذا المصطلح الغربي، لهذا نركز على أهم التسميات، فهذا "عادل فاخوري يحصر لنا « ما يقارب عن ستة أصوات دالة للمصطلح في السيمياء، والسيمية، والسيميائية،

1- ينظر: سعيد بن كراد،السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، منشورات الزمن مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء المغرب، 2003، ص01.

2- جميل حمداوي، مدخل إلى المنهج السيميائي، مجلة عالم الفكر، المجلد 25، العدد 3 مارس 1997.

3- جوزيف كورتيس، مدخل إلى السيميائيات السردية، تر: جمال حضري، الدار العربية للعلوم، ط1، لبنان 2007، ص8.

والسميوطيقا، والسيميولوجيا، والرموزية» [1]، كما ترجم عبد السلام مسدي هذا المصطلح بـ « تعريب سليم ولا اعتراض عليه، لولا أنني وجدت مشكلة في نسبة إليه، حيث استعصى علي مثلا أن أقول: تحليلا علاماتيا» مما يعني صعوبة استخدام هذا المصطلح في الدراسات الأدبية.[2]

كما أننا نجد من العناوين التي استخدمت مصطلح (سيميائية) مثل المؤلف "السيميائية أصولها وقراءاتها" للباحث الجزائري "رشيد بن مالك" وكذلك في كتابه "مقدمة في السيميائيات السردية" ويؤثر فيصل الأحمر تسمية "علم العلامات" للمسدي، وذلك أنها التسمية الأكثر دلالة على مفهوم المصطلح الغربي.[3]

1- ينظر: فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، ص14.

2- ينظر: عبد الله الغذامي، الخطيئة والتكفير، من البنيوية إلى التشريحية، قراءة نقدية لنموذج إنساني معاصر، مقدمة نظرية ودراسة تطبيقية، ط1،المغرب، لبنان، 1985، ص41.

3- فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، ص 16.

المبحث الثاني: موضوع السيميائية.

يتضح من خلال قراءة، التعاريف المعطاة لمفهوم السيميائيات أنها تتضمن جميعها مصطلح "العلامة" وهذا مؤشر واضح على أن العلامات وأنساقها هي الموضوع الرئيس للسميائيات، وليس غريبا أن تركز السيمياء اهتماما على دراسة العلامة باعتبارها الأداة الأولى التي قادت الإنسان إلى الانفصال عن طبيعة موحشة ليلج عالما ثقافيا حيث سيستأنس ويكتشف طاقاته التعبيرية الجديدة ، فالإنسان هو الكائن الوحيد المنتج للدلالات، ولا غرابة في ذلك لأنه مدني بالطابع، يختلف من غيره من الكائنات بحاجته للتواصل والمعرفة ولاشك أن وعيه بذاته، وتميزه على التعرف على طبيعة، بعد انفصاله عنها، بالعمل الجماعي، أكسبه القدرة على التعرف على العالم والحياة بالوسائط فيه كما تمكن من تحويل الأصوات إلى أشكال حاملة للمعاني، ولهذا ما كان باستطاعته العيش في هذا الكون دون الاستعانة بالعلامات، فقد مكنه اكتشافه هذا باستخدام العلامات في التعامل مع عالم آخر يختلف جذريا عن عالمه لمادي المعهود الذي ألفه وعاش ردحا من الزمن داخل بوتقته الجامدة المتعددة و المتداخلة التي لا تستطيع مجهودات الإنسان الإدراكية استيعابها و الإحاطة بها، عالم استخدم فيه الإنسان البدائي النار في إرسال رسالة تفهم الآخر بما يريده، حيث قان بإشعالها ليلا أما نهارا فكان يستخدم الدخان للإنارة إلى الرسالة يريد تبليغها مع الأخذ بعين الاعتبار مدة الإشعال و المرات المتكررة، وما إلى ذلك من الدلالات في المعنى

المراد، ثم قام بالكتابة عن طريق رسوم تعبيرية تصويرية كدلالة على فكرة صوتية أراد إيصالها ومن بعدها أنت الكتابة الهيروغليفية في مصر عند الفراعنة ليظهر بذلك الاتصال وطرقه المباشرة فيما بين البشر فيفضل هذا السلوك العلامي الترميزي أصبح بمقدور الإنسان أن يستدعي الموجودات والكائنات و الأشياء الغاترة في زمان و المكان ويستحضرها أمامه من خلال علامات تحل محلها فتنوب عنها وتعوضها وتختصرها في نماذج وبنيات عامة، ذلك أنه "كلما ازداد النشاط الرمزي تراجع الواقع، بل مكنه هذا الاختراع المهم في حياته من الإشارة إلى عوالم خفية ترتبط بالخيال أكثر من ارتباطها بالواقع الذي يعرفه".[1]

فبذلك سيطر الإنسان على الوجود المادي وجعل التجربة الإنسانية تحضر أمامه من صياغته لمجموعة من العلامات الرموز فحالة الوعي هذه التي بلغها الإنسان في صياغته للسلوك الإنساني عامة مكنته من الذوبان في الأشكال الرمزية التي لم تكن إجراءا مجانيا مجردا من أي معنى، فالعلامات بالنسبة إليه هي أداته المركزية في إنتاج الفكر وليست فقط أداة لتبليغه كما جاء عن "بويسنس" في تعريفه للعلامة عندما وصفها بأنها (أداة يستخدمها الإنسان من أجل حالة الوعي إلى الكائن إنساني آخر)[2]، فلا يمكنه أن يعيب ويفكر محفولا عن العلامات، فوجود المعنى رهين يوجد العلامات و العلامات في الأخير هي وحدها أداته إلى الإنتاج الدلالات وتداولها

1- أحمد طيبي، العلامة بين إحالتها التقريرية وأبعادها التأولية، محاضرات الملتقى الدولي السادس للسيمياء و النص الأدبي من 18إلى 20أفريل 2011، جامعة بسكرة.

2- أمبرتو إيكو، التأويل بين السميائيات والتفكيكية، المركز الثقافي العربي، ط1، لبنا، ص148.

واستهلاكها، فلا يمكن الحديث عن العلامة إلا باعتبارها أداتنا الرئيسية، إن لم تكن الوحيدة لتنظيم التجربة الإنسانية.

ومن هذه الزاوية يجب التعامل مع "العلامة" في ارتباطها بالممارسة الإنسانية وارتباط الممارسة الإنسانية بها، التجليات الممكنة للمعنى التي تقضي بها العلامات هو البحث، في الوقع، في أساس النشاط الإنساني.

ولما كانت السميائيات نشاطا معرفيا يسائل المعنى وكيفية إنتاجه وأشكال تداوله فإن مجالها التجربة الإنسانية، فهي البحث عن السلوك الإنساني بوصفه نشاطا دالا، فكل المظاهر اليومية للإنسان تشكل موضوعا للسيميائيات، فالضحك و البكاء و الفرح واللباس وطريقة استقبال الضيوف وإشارات المرور والطقوس الإجتماعية والأشياء التي تداولها فيما بيننا، وكذلك النصوص الأدبية و الأعمال الفنية، كلها علامات دالة تنتمي إلى التجربة الإنسانية نستند إليها في التواصل مع محيطنا.[1]

ويعد مصطلح "العلامة" (signe) على حد قول بارت من المصطلحات الغامضة جدا بسبب استخدامه في المعاجم مختلفة (من للأموات حتى الطب)، ثم بسبب تاريخه الغني (من الإنجيل حتى السيبرنطيفا)

ومادات السيميائية هي علم العلامات فما هو مفهوم العلامة؟.

إنه من الصعوبة إعطاء تعريف واحد نهائي للعلامة ومرد ذلك إلى كونها كيانا واسعا جدا من جهة ومن جهة ثانية صعوبة تعريف العلامة تعريفا موجدا بسبب

1- سعيد بن كراد، السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها،ص18.

الخلفيات الفكرية التي يسند إليها، وهي خلفيات استمولوجية ونظرية تختلف من طرف إلى آخر، إلا أنه يمكننا تقديم بعض التعاريف التي صاغها بعض المفكرين القدماء للعلامة مثل "هوبز" الذي يرى (أن العلامة من السابق الصريح للأحق، ولاحق السابق هو كذلك عندما تكون هناك نتائج متشابهة نمت ملاحظتها، وكلما قلت ملاحظة هذه النتائج تم تشكيك في وجود العلامة)، أما "وورف"فيعتبر العلامة (كائنا نستنتج منه حضورا أو وجود السالف و الأتي لكائن ما) إلا أن تعريف العلامة الأكثر شيوعا هو التعريف الذي يقدمه قاموس الفلسفة لـ أباغنانو(dictionnaire le philosophie d'abbagmamo)، حيث يعرف العلامة بأنها: (كل شيء أو حدث، يحل على شيء ما أو حدث ما)[1]، إن هذا التعريف ذاته الذي تبنته فلسفات القديمة فهو يصف بالعمومية، ويسمح بتضمين العلامة كل ممكنات الإحالة ما يتعلق بالسبب والنتيجة (والعكس صحيح) الشرط والنتيجة (والعكس صحيح) المثير الذي يثير الذكريات للكلمة ومدلولها إيماءة، الإشارة و الشيء المشار إليه .

وعلى عمومية هذا التعريف وبساطته يسمح لنا بضبط المفهوم في شكله العام الذي سيتضح أكثر بمعرفة أبعاد العلامة و المنار المشكلة لها.

1- ينظر، أمبرتو إيكو، العلامة تحليل المفهوم وتاريخه، تلر: سعيد بنكراد، المركزالثقافي العربي، ط2، بيروت، 2010، ص67.

وهي حسب تصور موريس(1949) ثلاث أبعاد:[1]

- **البعد التركيبي:** ينظر إلى العلامة باعتبار قدرتها على الانضواء داخل مقاطع من علامات أخرى وفق قواعد تأليفية بعينها، ونعني بالتركيب أيضا دراسة البنية الداخلية للوجه الدال للعلامة في إستقبلال عن المدلول الذي تحيل عليه العلامة حتى في الحالة التي نفترض فيها لا تشتمل على أي مدلول (مثل تفكيك لعلامة إلى وحدات صوتية دتيا).

- **البعد الدلالي:** ينظر إلى العلامة في هذا المجال باعتبار علاقتها بما يدل عليه

- **البعد التداولي:** إن العلامة في هذه الحالة تتحد من خلال وظيفتها الأصلية والآثار التي تحدثها عند المتلقين، أي الطريقة التي يستعمل من خلالها المتلقي هذه العلامة.

فالعلامة تكتسي أهميتها بما تحمله من أبعاد ثلاث (تركيبي،دلالي،تداولي) ففيها يتمركز هذا العالم الذي الذي لا تمثله إلا من خلالها حيث تمنحنا القدرة على تداولها، وبالتالي تمدنا سيرورة الفهم المتجدد و الذي لا نصل إليه إلا في إطار الحياة الإجتماعية "لأن التعرف في العلامة السيميوطقية لا يقوم على الحدث الفردي ولكن على التعلم، فالعلامات هي نظم اجتماعية يلجأ إليها المجتمع للتواصل بين أفراده ولتنظيم الأنشطة المختلفة".[2]

1- أمبرتو إيكو، المرجع السابق، ص56.

2- سيزا قاسم، القارئ والنص، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، 2002، ص 205.

وإذا ما جئنا لتحديد عناصر العلامة فإننا سنجدها تختلف باختلاف وجهات نظر واضعيها كما تتعدد تسمياتها وفق لذلك حسب ما يقتضيه تصورهم لوظائف هذه العناصر وطبيعة العلاقة التي تربط بينها وتزداد الأمر تشعبا عند ترجمتها إلى اللغة العربية لأنه يوجد للمصطلح الواحد أكثر من ترجمة، قد يتعذر معها إيجاد الانسجام داخل البحث إذا حاولنا الاستفادة من جميع هذه الترجمات، ونحن لسنا بصدد تتبع كل هذه الاختلافات وإنما سنكتفي بمعرفة العلامة عند قطبي تأسيس لهذا العلم وهما المدرستين السويسرية والبيرسية.

1- العلامة عند دي سوسير:

يعرف دي سوسير اللغة منظومة من العلامات التي تعبر عن فكر ما، فإنها تشبه الكتابة وأبجدية الصم و البكم، و الطقوس الرمزية، ضروب المجاملة والإشارات العسكرية...الخ، إنها وحسب أهم هذه المنظومات على الإطلاق.[1]

فاللغة عند دي سوسير تنظيم من العلامات مثلها مثل المنظومات العلاماتية الأخرى غير أنها تعد أفضلها.

و العلامة في تصور دي سوسير لا ترتبط شيئا بل تصور بصورة سمعية وهذه الأخيرة ليست الصوت المادي، الذي هو الشيء فيزيائي صرف، بل هي الدافع النفسي

1- فرديناند دي سوسير، محاضرات في الألسنة العامة، تر: يوسف غازي، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1986، ص27.

لهذا الصوت، أو التمثل الذي تهبنا إياه شهادة حواسنا، إن الصورة السمعية هي حسية.[1]

فالعلامة هي مجموع ما ينجم عن الترابط الدال بالمدلول، والدال هو الصورة السمعية أما المدلول فهو تصور الصورة، فهي كيان نفسي ذو جهتين، وطبيعة العلاقة بينهما اعتباطية بمعنى أنه لا يوجد ما يبرر ارتباط الدال بالمدلول مثال ذلك (أخت لا ترتبط بأي صلة داخلية مع تعاقب الأصوات أ،خ،ت) تلك التي تقوم مقام الدال بالنسبة له، ويمكن تمثيلها بأي تعاقب آخر أين شكله ودليل ذلك اختلاف الدليل في مختلف اللغات.

فلو أنا علاقة الدال بالمدلول معللة لاهتدى الناس كافة إلى نفس الألفاظ وتوحدت اللغة لديهم.

ويسحب مبدأ الاعتباطية العلامة على جميع العلامات بما فيها العلامات الطبيعية التي قد نظن أنها معللة مثل (الإيماءة)، ويضرب لذلك مثلا الرجل الصيني الذي يحي إمبراطور وهو يخر أمامه تسع مرات، فعمله هذا قيده عرف اجتماعي لا منبثق عن قيمته الباطنية، فالاعتباطية عند دي سوسير هي خاصية لكل العلامات لسانية كانت أو غير لسانية فهي مبدأ عام و العلامة لها وجهين فقط هما الدال والمدلول وهو بهذا يبعد المرجع الذي يكاد يتفق جميع الدارسين بضرورة وجوده

1- فرديناند دي سوسير، المرجع السابق، ص88.

كعنصر ضمن العلامة، لأنه يضع المرجع خارج إطار اللسانيات حتى تحافظ على عمليتها.[1]

إن مبدأ الاعتباطية ليس شيء مسلما به غير قابل للتعديل أو النقاش، حيث أنه سيعاد النظر فيه من قبل بنيفست بالضبط و التعديل "وإن كان يسلم به مبدئيا، لأنه يرى أن مبدأ الإعتباطية يقع بين العلامة (دال ومدلول) والشيء الذي تعينه، وليس بين (الدال والمدلول)، خصوصا أنهما من طبيعة نفسية (المفهوم والصورة الصوتية) يتلازمان في أذهان الأفراد من خلال روابط متوحدة في ماهيتها وجوهرها، إن الاعتباط يكمن بين اللسان و العالم، ليست علاقات داخل اللسان باعتباطية وإنما هي ضرورية"[2]، بمعنى أنه يرى أن العلامة اللسانية بنية موحدة يتحد فيها الدال بالمدلول، فكل كلمة تستحضر صورتها في الذهن حتى أصبح اللفظ يطابق ذات الشيء في العالم الخارجي فكل يعكس طبيعة الشيء ويعبر عن هويته ولم يوضع بطريقة عشوائية (كأن نقول مسطرة لأنها تسط، سيالة لأنا تترك سائلا، مثلث لأنه يتكون من ثلاث أضلاع...)، فلهذا يرى بنفيست أن العلاقة بي الدال و المدلول ليست اعتباطية بل هي العكس من ذلك علاقة ضرورية، خاصة عندما يرفض الذهن استقبال كلمة مجهولة غريبة لا تحدث أي تصور ولا توحي بأي معنى، فالذهن لا يحتوي على أي أشكال خاوية، وما يؤكد عدم اعتباطيتها هو عدم قدرة أي فرد على استحداث لغة خاصة به،

1- دي سوسير، المرجع السابق، ص89،90.

2- رولان بارت، مبادئ في علم الأدلة، ترجمة محمد البكري، الدار البيضاء،1986، ص160.

لكنه يضطر إلى التحدث بلغة قومه، واستعمال نفس الإشارات الصوتية حتى يتم التواصل بينهم.

2- العلامة عند بيرس:

حظيت العلامة عند بيرس بكل اهتمامه وانشغاله لأنه كان يسعى لبناء نظرية السيميائية، فلم يكن العلامة عنده دليلا لسانيا فحسب، بل أصبح أنموذجا لكل نشاط دلالي، ذلك أن السيميوطيقية بيرس،"تستند على فلسفة شاملة للكون، تبدو بسب طبعها المغالي في التجريد و التعميم، موضع شك، لأن تكون صالحة لتأسيس نظرية معرفة عامة و السيمياء الخاصة.[1]

ونضرا لأن سيميوطيقية بيرس هي نتاج سياق فلسفي ارتبط بالرياضيات والمنطق، فإن موضوع العلامة عنده كان متشعبا ومتفرعا إلى الحد الذي تعسر فيه الإحاطة بكل جزئياته، ولعل ذلك يتجلى في مفهومه للعلامة التي هي حسب رأيه، " عبارة عن شيء ما يمثل شيء ما، بالنسبة لشخص ما، بمظهر أو إمكانية ما"[2] (شيء ما) معناه كل ما يمكن أن يكون حاملا ماديا لما هو في الواقع، ويريد به اللغة، الألوان...وغير ذلك خلافا لدي سوسير الذي حصر الحامل المادي في الصورة السمعية، (بالنسبة لشخص ما) المقصود به لفكر وذهن ذلك الشخص الذي يستقبل

1- معن زيادة وآخرون، موسوعة الفلسفية العربية، م2، معهد الانتماء العربي، ط1، بيروت، لبنان، 1986، ص753.

2- حنون مبارك،دروس في السيميائيات، دار توبقال للنشر، ط1، الدار البيضاء، المغرب،1987،ص45.

ذلك الشيء، (يمثل شيء ما) يريد به الشيء الحقيقي الموجود في الواقع، (بمظهر ما أو إمكانية ما) معناه أن الشيء الممثل لا يتفرد بحالة واحدة.

إن هذا التعقيد الذي أظهره بيرس في تصنيف العلامة "التي وصلت إلى بضع وستين نوعا"[1]، الأمر الذي دفع الكثير من اللغويين والنقاد إلى العزون عن الخوض في غمار كل هذه التفاصيل الجزئية التي قد لا تخدم كثيرا النص اللغوي والأدبي مكتفين في ذلك بالجوانب التي من شأنها أن تقدم دعما حقيقيا للمنهج السيميولوجي في دراسة اللغوية والنقدية.

ويعد التصنيف الثلاثي الخاص نسبة العلامة إلى موضوعها هو أحد أهم التصنيفات وأكثرها رواجا وفعالية في مجال الدراسات السيميوطيقية، ويتمثل هذا التصنيف في تقسيم العلامة إلى ثلاثة أنماط تتشكل من خلال نوعية العلاقة التي تنسجها العلامة مع موضوعها في علاقة مع الممثل بوصفه أولا، وفي علاقته مع الموضوع بوصفه ثانيا، وفي علاقته مع المسؤول باعتباره ثالثا.

ولقد إختلفت الترجمات في تسمية عناصر العلامة عند بيرس خلافا لما وجد عند دي سوسير من اتفاق على الدال والمدلول، ولأننا انطلقنا في بحثنا من الكتابات سعيد بنكراد فقد وظفنا ترجمة الاصطلاحية، التي يختلف في بعض منها مع غيره من المترجمين في تحديده لعناصر العلامة عند بيرس، وهذا للمحافظة على انسجام البحث

1- محمد سالم سعد الله، مملكة النصر التحليل السيميائي للنقد البلاغي، عالم الكتب الحديثة، ط1، الأردن، 2007،ص20.

دون الخوض في إشكالية ترجمة المصطلح، لأن هدف البحث توضيح المنطلقات العلمية لهذه الدراسة لا البحث في تنظيرات ليس هذا مجالها، وعليه سنعرض بإيجاز عناصر العلامة عند بيرس.

- **الماثول:** يعتبر أداة وظيفتها التمثيل لشيء آخر فقط بمعنى أنه يعوض العالم الخارجي لدى الإنسان فهو يخلق علامة موازية له لتصبح قابلة للتعرف، فهوا لا يعرف الشيء ولا يزيدنا معرفة بيه لأنهم عرفة مفترضة من خلال وجود باث ومتلقي، فهو وباختصار يقابل الدال عند سوسير.[1]

- **الموضوع:** هو ما يقوم الملثول بتمثيله سواء كان هذا الشيء واقعيا أو متخيلا أو قابلا للتخيل أولا يمكن تخيله على الإطلاق، فالموضوع عنصر من العلامة يتحول بدوره إلى علامة تحقق معرفة مباشرة من خلال الفعل مباشرة وهذا ما يسميه بورس بالموضوع المباشر أما الموضوع الديناميكي فهو معرفة غير مباشرة للموضوع تفترض من خلال تحققها في سياق، فهو حصيلة لسيرورة سيميائية سابقة يدعوها بيرس بالتجربة الضمنية expérience collatérale مثال ذلك الجملة التالية الشجرة طويلة فالموضوع المباشر هو طول الشجرة وهو أمر متحقق لكل من يفهم اللغة العربية أما الموضوع الديناميكي فكل ما نستطيع فهمه ضمن الإطار الثقافي لصيغة هذه الجملة كأن تحيل على الوطن أو الدين.[2]

1- ينظر، سعيد بن كراد، السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها،ص64-65.

2- ينظر: بن كراد، مرجع سابق، ص88-89.

هذا التمييز للموضوع هو الذي يسمح بقراءة النص من هذين المستويين أو من خلال هاتين الزاويتين أحدهما مباشر وهو ما يشكل معطيات النص الظاهر وآخر ديناميكي يسمح بتأسيس المعرفة المفترضة عبر وجودها بفعل التأويل بمعنى أنه سيمنح النص قراءة أولى عبر بنية السطحية وقراءة ثانية هي قراءة تأويلية عبر بنية العميقة.

- **الؤول:** يشكل التوسط الإلزامي الذي يسمح للماثول بالإحالة على موضوع وفق شروط معينة فهو الذي يجدد العلامة ويضعها للتداول كواقعة ابلاغية، وبهذا تنتقي العلاقة المباشرة بين الإنسان ومحيطه الخارجي ذلك أن أي تأويل يتم استنادا إلى معرفة مسبقة.[1]

نخلص إلى أن العلامة عند بيرس عبارة عن شبكة من العلاقات تنقاد إلى تحلل ثلاث أطراف تشكل الأبعاد الأساسية لهذه العلاقات، ولكي تحقق العلامة الدلالة والتواصل فإنه سيتوجب وجود هذا الطرف المؤول وفي غيابه يتعذر على المثول و الموضوع أداء هذه الوظيفة بمفردها وبهذا يتضح أن الماثول (الممثل) يشكل مستوى الأولية وأن الموضوع يشكل مستوى الثانوية بينما يشكل المؤول مستوى الثالثية[2]، فالمؤول يعتبر كأداة واصلة بين "الموضوع" و"الماثول" ومبرزا العلاقة التي تربط بينهما فهو يعتبر أداة توسط إلزامي.

1- ينظر: بن كراد، المرجع السابق، ص88-89.

2- حنون مبارك، دروس في السيميائيات، ص47.

فإحالة "المثول" إلى "الموضوع" ضمن سيرورة سماها بيرس "السيميوزيس" فهذا النوع عمل المؤول، وهذه هي وظيفته داخل العلامة، وبذلك يتضح أن السميوزيين بما أنها سيرورة تأويلية، تمثل جوهر السيميوطيقا كما تصورها بيرس على الأقل، وذلك أن الذات الإنسانية، وفي محاولتها إدراك نفسها وإدراك العالم المحيط بها، تحتاج إلى سيرورة تدليلية (السيموزيس) تحول بها الوقائع الموجودة في العالم الخارجي إلى أشكال مضمونة ونسخ ثقافية بديلة ذات طابع رمزي سيميائي في الأساس، ومنه فإن إنتاج الدلالة، في منظور بيرس لا يمكن تصوره خارج إطار المسار التدليلي للسيميوز العائم على إلزامية وجود علاقة الترابط بين أداة التمثيل وبين موضوعها في الخارج عبر أداة التأويل التي تشتغل من خلالها العلامة كعلامة، غير أن العلامة هنا ليست منتهية الدلالة فالدلالة المنتجة بالنسبة لشخص ما، عبر مؤول بدورها علامة بالنسبة لشخص آخر، بمعنى أنها تختلف في مخيلته علامة موازية، أو ربما علامة أرقى من الأولى، وتشكل علامة جديدة بالنسبة لشخص ثالث، وهكذا نغتمر هذه السيرورة معبرة عن عملية تأويلية غنية قد لا يكون لها نهاية تحدها.[1]

فتعدد الدلالات للعلامة الواحدة هي ما يجعل القراءة تنقيبا مستمرا عن الأشكال الدلالية الضمنية المتخفية وراء الدلالات التقريرية المتحققة مباشرة، وهذا ما نود التوقف عنده من خلال دراسة دلالة العنوان في مداخلتنا هذه.

1- ينظر: أحمد طيبي، العلاقة بين إحالاتها التقريرية وأبعادها التأويلية،ص182-183-184.

الفصل الثاني:

ماهية العنوان

1- المبحث الأول: مفهوم العنوان.

لم يول النقاد والدارسون اهتماما للعنوان إلا في الدراسات السيميائية المعاصرة، حيث اهتمت السيميائية بكل ما يحيط بالنص من علامات كالعنوان، الإهداء والغلاف ،والمقدمات والهوامش...الخ وذلك بعدما تبين أنها من المفاتيح المهمة في اقتحام أغوار النص، خاصة العنوان الذي يعتبر العتبة الرئيسية التي تفرض على الدارس أن يتفحصها ويستنطقها قبل الولوج إلى أعماق النص، فهو يساهم في توضيح دلالات النص واستكشاف معانيه الظاهرة والخفية.

وبالرغم من أننا لا نريد احترام ما تردده جميع الأبحاث التي تحاول مقاربة العنوان من تفصيل في المعاني المعجمية والإصلاحية، وإنما نركز على بعض الإضاءات التي تسهم لا محالة في تعضيد الدرس التطبيقي للرواية، وقبل البدء بمقارنة شؤون العنونة في رواية "l'attentant" يمكننا تقديم أتطير تعريفي يحاول أن يستجلى بعض المفاهيم المرتبطة بحقيقة العنوان وأهميته بالنسبة للنص.

1-1- لغة:

فالعنوان من حيث أنه علامة لغوية يرجعه الباحثون إلى مادتين تشتركان في دلالتهما على المعنى، وعليه فالعنوان في اللغة الذي تنحدر من جذر عنن يتضمن معنى الظهور والاعتراض.[1]

1- ابو فضل جمال الدين محمد ابن مكرم منظور الإفريقي المصرفي، لسان العرب مادة عنن، دار صادر، ط1، بيروت، 1992، ج 10، ص312.

أما من المادة عنا فقد عملت أيضا معنى الظهور والأثر زيادة عن القصد والعناية و "السمة"[1]، أما ظهور العنوان فنعني به سطوته وتجبيره على المبدع والقارئ فأما على الأول فمن حيث أنه صاحب الحظوة والصدارة في النص، "إذ يتصدر اللوحة بالنسبة للغلاف والصفحة بالنسبة للقصيدة"[2]، وأنا على الثاني فكونه يلقى بظلال سلطته على القارئ يفرض نفسه عليه لأجل استئذانه في الدخول إلى عالم النص، وأما الاعتراض فهو وقوف العنوان حاجزا معترضا ما بين القارئ والنص، فهو "أول لقاء مادي فيزيقي محسوس بين القارئ والكاتب"[3]، لذلك فهو أمر قد يهم القارئ أكثر من الباعث لأن دعوة الاعتراض تعود على المتلقي لا على الباعث.

أما القصد والإرادة فدلالتان قارتان في العنوان، لأن العنوان يعمل في القصيدة الشيء الكثير، على اعتبار أنه لا اعتباطية في العنوان، بل إن "الكاتب يجهد نفسه في اختيار عنوان يلائم مضمون كتابه، لاعتبارات فنية وجمالية ونفسية وحتى تجارية"[4]، تجعل المتلقي أو القارئ يسير تبعا لمقصديه أو إرادة العنوان، ولا تكون إرادة العنوان أو مقصديته إلا من خلال إرادة المبدع صاحب النص، فالعنوان يقصد شيئا ما،أو بالأحرى يريد شيئا ما سيكون المبدع –لا محالة– هو صاحب هذه

1– أبو فضل جمال الدين محمد ابن مكرم منظور الإفريقي المصرفي، المرجع السابق، ص116.

2– بسام قطوس، سيمياء العنوان، وزارة الثقافة، ط1، عمان، الأردن، 2001، ص31.

3- عبد القادر رحيم، العنوان في النص الإبداعي، أهمية ومفاهيمية ، ملتقى الوطني الخامس للسيمياء والنص الأدبي، جانفي 2008، جامعة بسكرة، الجزائر،ص08

4– بسام قطوس، المرجع السابق، ص31.

الإرادة، ولن يكون القارئ إلا كالملتقى الذي تستهويه (إشارة أو قصيدة المرسل)، وأما الأثر فلآت العنوان أثر في مقدمة الكتاب، يشبه أثر السجود في مقدمة الرأس (الجبهة) ومنه قوله تعالى: (سيمَاَهُمْ عَلَى وُجوْههمْ منْ أَثَر السُجُودْ) فيكون بذلك أثر السجود علامة في الوجه لمن حسنت صلاته، كما يكون العنوان أثر وعلامة في مقدمة الكتاب على حال النص وصاحبه، ويكون (الأثر/ العنوان) بالنسبة إلى النص كالاسم للمسمي "تماما مثل أسماء العلم وأسماء المواقع في علاقتها بالأشخاص والمواقع التي تعينها".[1]

وأما كون العنوان سمة الكتاب فذلك بيت القصيد، ومدار الأمر كله ومختزل الدلالات جميعا، فهو "وسم له وعلامة عليه، على اعتبار أن "السمة هي العلامة ومنه سوم الفرس جعل عليها السمية" ليكون العنوان غزة في مقدمة الكتاب، كما كان للفرس غزة في جبينها تميزها عن غيرها، وما سمي العنوان عنوانا إلا لأنه سم الكتاب، أي يميزه بعلامة خاصة عن غير، يعرف بها ويهتدي إليه من خلالها، هذه العلامة لن تكون مطلقا إلا العنوان.[2]

فالعنوان علامة لغوية تعلو النص لتسمه وتحدده وتغري القارئ بقراءته، فلولا العناوين لظلت كثير من الكتب مكدسة في رفوف المكاتب، فكم من كتاب كان

1- بسام قطوس، المرجع السابق، ص32.

2- ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج7، مادة سوم، ص307.

عنوانه سببا في ذيوعه وانتشاره وشهرة صاحبه، وكم من كتاب كان عنوانه وبالا عليه وعلا صاحبه!.

1-2- اصطلاحا:

فالعنوان كما يراه ليوهوك (leohoeq) هو "مجموع العلامات اللسانية (كلمات مفردة، جمل...) التي يمكن أن تدرج على رأس كل نص لتحدده وتدل على محتواه العام، وتغري الجمهور المقصود" وأما جاك فونتاني (jagues fontmille) فيري أن العنوان مع علامات أخرى هو من الأقسام النادرة في النص التي تظهر على الغلاف، وهو نص موازي له[1]، بمعنى أن العنوان يرتبط أشد الارتباط بالنص الذي يعنونه فهو بمثابة نص مختصر يتعامل مع نص كبير يعكس كل أغواره وأبعاده.

وبشكل عام فإن على العنوان أن يثير تساؤلا ويكسر أفق انتظار ما فليست العناوين الروائية دائما تعبر عن مضامين نصوصها بطريقة واضحة، بل نجد العناوين الغامضة المبهمة، وعلى القارئ أن يبحث عن العلاقة بين العنوان والنص، لذا لا يجب أن يفهم من ذلك أن العنوان مجرد اسم يدل على العمل الأدبي، ليحدد هويته، ويكرس انتماءه لأدب ما.

ثم إن اختيار الروائي العنوان واجهة إشارية دلالية لا يمكن أن يكون اعتباطيا، فلا بد أن يمتلك بوصفه علامة دلالة، بعدا إيحائيا للمدلول، وقد جعله بعض النقاد

1- محمد الهادي المطوي، شعرية عنوان كتاب الساق على الساق، مجلة عالم الفكر، مجلد 28، العدد01، الكويت، 1999، ص456.

مرادفا للاسم المؤشر لطبيعة الأشياء، بل إن عنوان الرواية وطريقة بناء الشخصيات والنتائج التي تقضي إليها الأحداث تسهم جميعها بصورة أو بأخرى في بناء منظور الكاتب، وعقيدته العامة مهما بدا محايدا.

2- المبحث الثاني: سيميائية عنوان "الاعتداء" و "الصدمة.

تنبثق أهمية العنوان في كونه بوابة غير محروسة بإحكام،وبإمكان القارئ أن ينسل منها النص، ولهذا تبرز إستراتيجية العنونة ليس في كون العنوان نصا جماليا فحسب، لكن العنوان بالنسبة إلى نصه اللاحق يوجد في وضعية مفارقة، عليه أن يخبر وأن يبقى محدود الإخبار في الوقت نفسه وهذا ما نجده في l'attentan رواية اعتمدت على مهارات لغوية خاصة في صناعة العنوان رغم تعدده، حيث تجمع المعاجم الفرنسية العربية على الترجمة الحرفية كلمة l'attentan بمصطلح الاعتداء بالرغم من أن الترجمة العربية لنفس الرواية حملت عنوانا مغايرا وهو "الصدمة"، فإذا أسلمنا كما أسلفنا سابقا بأهمية العلامة في السيمياء وعدم اعتباطية العنوان فإن هذا الاختلاف لن يكن سببه الترجمة خاصة وأن ياسمينة خضراء من الروائيين الذين يولون اهتماما بالغا بمن يترجمون أعماله إلى اللغة العربية، لذا فالمترجمة نهلة بيضون لم تكن غافلة عن الترجمة l'attentan بالاعتداء، وإنما حمل الرواية لعنوان "الصدمة" يثير الكثير من التساؤلات: لماذا حملت الرواية الأم والمكتوبة باللغة الفرنسية مصطلح الاعتداء؟ في حين حملت النسخة العربية عنوان الصدمة؟ ما هي

دلالات الصدمة وما هي دلالة الاعتداء؟ من هو المسؤول عن هذا الاختلاف الروائي، المترجم أم دار النشر؟ هذا ما سنحاول الإجابة عنه في هذه المذكرة التي نحاول من خلالها أيضا معرفة سبب تصدر هذه العلامة بالذات لهذه الرواية؟ وما هي الدلالات والإيحاءات التي يمكن أن تحملها، والإشارات التي يمكن أن تتوارى خلف هذه التسمية؟ وللإجابة عن هذه التساؤلات والبحث عن سر هاتين الكلمتين كان هذا الاختيار.

زيادة على ذلك رغبتنا في معرفة مدى انسجام نص الرواية من حيث اختياره لتسمية عنوانه، لنلتمس إن كان سيتحقق هذا الانسجام أولا لذا فنحن لا نود تعميم النتيجة وإنما نود أن نرصد مؤشرات هذا الانسجام لا غير.

2-1- سيميائية عنوان الاعتداء:

فإذا نظرنا إلى المعاني التي تتضمنها الاعتداء لغويا نجد ما تتضمن معنى الجور والظلم من طرف آخر، أي تهجم ظالم على شخص بالضرب أو غيره وبالتالي "فالاعتداء "يحمل معنى الأذية والظلم في الاعتداء على ملك الآخرين سواء كان ذلك تهديدا أو خطر الإساءة الجسدية أو التسبب بالخوف أو العار والذل، فالمعنى اللغوي يكشف لنا ارتباط الاعتداء بالعنف، حتى وإن لم يقترن بموصوف، وإنما اكتفى بدلالة اللفظ المفرد وهي دلالة مطابقة مثل دلالة البيت على مجموع السقف والجدار والأسس، وبالتالي مطابقة "الاعتداء" لأهم حدث في الرواية لذا جاء على صيغة

المعرفة بالألف واللام حتى يزيل اللبس في المقصد إذ أن الاعتداء في الرواية يفجر حدثا كبيرا هو بداية الرواية ومحورها وسبب الصراع فيها، و الاعتداء أيضا القيمة العامة للنص، فهو بذلك المحرك لكل مراحل السّرد، كما أنه المفارقة الأولى التي اختارها الكاتب ليحاور قارئا ذكيا متقنا، يفكر فيها يدور حوله من صراعات وحروب، والعنوان بدوره يحيل إلى:

أولا: ينذر العنوان "الاعتداء" بخطر داهم، وبذلك يتحول العنوان إلى لافتة إنذار، وما يعضد هذه الفريضة هو صيغة المركب الاسمي الذي عادة ما يدل على السكون والمركب الإفرادي الذي يحدد الحدث [الاعتداء واحد] لكن نجد أن هذا الموكب الاسمي لا يدل على السكون أو الثبات، ولا يدل على التضييق أو التحديد: فالمركب الاسمي: "الاعتداء" تحيط ر ما به هالة من دلالات الحركة والصخب، وتحاصره من كل جانب [الانفجار/ الدم/ الموت/ الخسائر/ الأشلاء] وجميع النشطات التي توحي بفوضى المكان وعنف اللحظة [لحظة الاعتداء]، أما صيغة المفرد الاعتداء باعتباره حدثا واحدا، لا تحدد الحدث بقدر ما تجعل من الاعتداء هو المحرك لأحداث الحكي جميعها ولتبعات الحدث الجسمية، فلفظة "الاعتداء" تتضافر فيها كثافة اللفظ وإيجازه لتجعل العنوان يحقق ما يسمى بالدهشة.

ثانيا: يبقى العنوان مبهما، رغم اندراجه ضمن العناوين الأكثر وضوحا وانطلاقا بالنص، وهو ما يطلق عليه وصف العناوين الواقعية، ومرجع غموض العنوان بالرغم

من وضوحه في الظاهر إلى قصيدة الكاتب في الاكتفاء بجعل العنوان لفظة واحدة، صاخبة رغم صمتها، محملة بالهموم رغم إيجازها، اكتفى الكاتب بلفظة غير موصوفة ولا معرفة بإضافة ولا بلفظ أي كان، رغم أن اللفظ نفسه كثير التردد، فلا تكاد تخلو نشرة الأخبار من: "عملية /هجوم/ اعتداء/ تفجير..." و اللفظ يتردد- عادة – مقترنا بأوصاف بعينها: "الاعتداء الإرهابي /العملية الانتحارية/ العملية الاستشهادية"، انطلق الكاتب في إستراتيجية العنونة من موقف حاول فيه جاهدا أن يسمه بطابع الحياد ليقول منذ البداية أنه لا يريد أن يدخل في جدل الموقف السياسي والإيديولوجي إذن إن أي وصف لطبيعة الإعتداء سيكون موقفا مسبقا وسوف يغلق أفاق القراءة أو يحددها على نوع ما، يعترف ياسمينة خضرة بهذا القصد: "عندما كتبت "الإعتداء" حاولت أن أذهب أبعد من الأزمة، وأبعد من الشر نفسه، فأنا أعتقد أنه ليس من وظيفة الكاتب أن يكون حكما مقياسا لزلازل التي يتسبب فيها الإنسان".[1]

إن جعل العنوان بهذا الغموض الوضوح يفجر المفارقة من أول كلمة اختارها الكاتب عتبة أولى للنص الروائي، إنه يريد ومنذ البدء ألا يجب على الأسئلة القاتلة ليطرحها بدوره على القارئ، إنه يريد أجوبة شافية من القراء أنفسهم متمثلة في حيرة البطل على مدار أحداث الرواية، والأسئلة عديدة: هل هي عمليات استشهادية أم انتحارية؟ هل هو إرهاب أم دفاع مشروع عن النفس؟ هل القتلى من الأطفال أبرياء أم مغتصون؟ أين الحدود بين الانتحار والشهادة؟ هل نجيب عن الشر بالأسلوب

1- الموقع الرسمي للكاتبة: WWW.YASMINAKHADRA.COM

نفسه؟ من هنا يصير عنوان المحرك الفعلي لأحداث الرواية ذلك أنه يعانق تفاصيلها حتى نهايتها، هذه الكثافة المختزلة لعشرات المعاني و الدلالات التي يكتسبها أيجاز العنوان جعلته يجمع مزايا عديدة أهمها: "تشخيص الذات والواقع /الاختصار/الوضوح والغموض/الدقة/ارتباطه بالنص مباشرة/الكثافة/الإستباقية للأحداث/والمفارقة".

فالعنوان تتجاذبه الثنائيات المتعارضة والتي تفجر المتناقضات على النحو الأتي:

الإعتداء / l'attentan

1- إرهاب. 1- دفاع عن النفس. 1- الموت في الدنيا.

2- جهاد. 2- قتل الآخر. 2- الخلود في الجنة.

كانت هذه رؤيتنا لدلالة علامة "الإعتداء" كنموذج لرواية جزائرية مكتوبة بالغة الفرنسية، أراد ياسمينة خضراء أن ينتقل بنا إلى هموم بلد عزيز – فلسطين- ما يوحي بأفاق جديدة حول انفتاح الكاتب الجزائري، والذي كان إلى وقت قريب مهموما بمشاكل الجزائر لا غير، انفتاحه على هموم أخرى فقد تكون بعيدة مكانيا، لكن المأساة العربية الإسلامية تبدو متشابهة الملامح رغم اختلاف التقاطيع.

وياسمينة خضرة قلم من أقلام الجريئة التي استطاعت أن تحكي هموم الآخر بشكل يثير الدهشة، بدءا من عتبة العنوان التي كان موفقا في اختيارها لولوج عالم نص روايته وفي قدرته على مطابقته إذ يجد القارئ توافق بين النص و العنوان

وبالرغم من تصريحه من أنه لم يطلق حكما أو رأيا شخصيا اتجاه أهم قضية عالجتها الزاوية وهي الحدود الفاصلة بين العمليات الاستشهادية و الانتحارية، إلا أن عنوان "الإعتداء" يعد حكما مسبقا لما قامت به "سهام" في أحد مطاعم تل أبيب حكم يدين مصادرة حياة الآخر مهما كانت جنسيته، وهو نفس الحكم الذي كان يطلق "أمين جعفري" بطل الرواية من خلال وصفه للمدة الحادثة وفقا للجدول التالي:

اللفظ الدال على العملية من طرف أمين جعفري.	التكرار.
عملية تفجيرية	05
اعتداء	03
مجزرة	03
مأساة	02
تفجير إرهابي	01
عملية انتحارية	01
عملية إرهابية	01
تفجير	01
موت استعراضي	01
استعراض	01
مهمة جنونية	01
كارثة	01
مصيبة	01
نضال انتحاري	01

يبين هذا الجدول موقف بطل الرواية " أمين جعفري" من العمليات الاستشهادية من خلال العبارات الدالة على العملية التي قامت بها سهام واصفا أيها بالعمليات التفجيرية، الانتحارية و الإرهابية تارة، وبالاعتداء و المجزرة تارة أخرى...إلى غيرها مما ورد ذكره في الجدول، وهي عبارات مماثلة لأهم الشخصيات الإسرائيلية الواردة في الزاوية في وصف هذه العملية، سواء أصدقاؤه من المستشفى أمثال الطبيبة كيم يهودا أو مدير المستشفى عزرا بن حاييم وحتى رفيقه المسؤول الرفيع في الشرطة الإسرائيلية عزار بن حاييم، فكأنه بذلك يتبنى نفس الوجهة نظر الكيان الصهيوني في أهم وسيلة دفاع فلسطينية لازالت ترعب اليهود بالرغم من الترسانة الحربية المزودين بها من أمريكا، والجدير بالذكر أن موقف أمين جعفري لم يتغير بالرغم من تحول أحداث الرواية بداية من الفصل التاسع إلى فلسطين وخاصة جنين معقل المقاومة الفلسطينية ضد الاحتلال الإسرائيلي، أين أراد أمين اكتشاف الدوافع الحقيقية التي أدت بسهام إلى الانتحار، و الانتقام ممن جند زوجته لتكون مشروع قنبلة متفجرةّ فيقتص منه، لكنه يصطدم بأحد قيادي المقاومة أين يرميه في حفرة قذرة ستة أيام ويجرده من رتبته الاجتماعية حتى يتعرض لتجربة الإهانة والإقصاء ويعيش حياة الذل والموان ليتذوق مرارة الحقد والعجز وانتهاك الكبرياء عله يتفهم سبب اختيار "سهام" لمصيرها حيث يقول أردت أن تفهم لماذا نحارب يا دكتور جعفري، لماذا يرتمي الأطفال على الدبابات كأنهم يرتمون على علب الملبس، ولماذا مقابرنا متخمة

ولماذا أريد الموت وسلاحي بيدي... لماذا ذهبت زوجتك لتفجير نفسها في مطعم، لا كارثة أكبر من المهانة إنها مأساة غير قابلة للقياس يا دكتور، تحرمك من رغبة العيش، ومادام موتك مؤجلا، فثمة فكرة واحدة تقص مضجعك: كيف تموت بكرامة بعد أن عشت بائسا، أعمى، وعاريا؟[1] لكنه لم يقنع بذلك بالرغم من تجربة الإهانة التي تعرض لها، فالإهانة ليست سببا في نظره لمصادرة حياة الآخرين، ليست سببا في انتحار لذلك يرجع سبب استشهاد سهام إلى حقد دقيق لن يتمكن من الكشف عن معالمه مثلما لم تستطع هي التعايش معه "فلئن انتهى بها المطاف إلى تتحزم بالمتفجرات، وتمضي إلى حتفها بعزم لايلين، فلأنها كانت تحمل في أعماقها جرحا تخجل من البوح به لشدة بشاعته وفظاعته، والطريقة الوحيدة للتخلص منه كانت أن تدمر نفسها معه".[2]

فما اختيار ياسمينة خضراء لمفردة "الإعتداء" من الحقل الدلالي لأمين الجعفري والجانب الإسرائيلي في النظر إلى العمليات الاستشهادية، ما هو إلا دليل على إدانتها وإدانة كل شخص يسعى إلى تكوين فدائي أو بالأحرى مشروع منتحر أو قنبلة متفجرة، ولعل هذه الرؤية الجديدة هي التي جعلت الرواية تحظى بالعديد من الجوائز في أوروبا وتترجم إلى أكثر من 40 لغة منها اللغة العبرية، وكذا تحويلها إلى فيلم سينمائي وإعجاب الغرب بها إطراء فيه الكثير من المجاملة على أي حال، وذلك أن

1- ياسمينة خضرة، الصدمة، تر: نهلة بيضون، دار سيديا، الجزائر، 2007، ص252-253،
2- المرجع نفسه، ص263.

هذه الرواية تظل من وجهة نظر أدبية من مستوى يعد بالأحرى محدودا، لكن يبدو وأن الجودة الأدبية ثانوية بالنسبة لأغلبية القراء خاصة الغربيين مقارنة بالموضوع ذي الطابع الواقعي الساخن، وهذا المقياس نفسه هو الذي كان محددا أيضا بالنسبة لمن اقتبس هذا الفيلم إلى السينما عام 2013 من طرف المخرج اللبناني الأمريكي زياد دويري وإنتاج رشيد وشارب، ومنع هذا الفلم من العرض في لبنان و معظم الدول العربية (باستثناء المغرب ودبي) لمشاهده التي صورها في تل أبيب وضواحيها.

كما أن الجامعة العربية قررت منع عرض الفيلم في الدول 22 الأعضاء في جامعة بسبب إشراك ممثلين إسرائيليين وطاقم فني إسرائيلي، ودخول المخرج إلى الكيان الصهيوني وتصويره مقاطع من فلمه على امتداد 11 شهرا، وهكذا كان فيلم "الإعتداء" اعتداءا على المشاهد العربي خاصة عندما يسند دور البطولة إلى ممثلة إسرائيلية.

فالاعتداء سواء كان رواية أو فيلم سينمائي يبقى عملا صادما بسبب الموضوع الذي تشتغل فيه من وجهة نظر العربية الإسرائيلية، فالكثير يرى فيهما الصوت الذي ترغب إسرائيل في سماعه، وبالتحديد على لسان عربي، الأمر الذي جعل ببعض الأطراف الإسرائيلية تثني على هذه الرواية مثل صحيفة هاآرتس اليهودية أو مثل الناقد "تسور أوليخ" في موقع ماكور ريتون حيث يقول: "هذا الكاتب العربي الأوروبي يظهر تجاه إسرائيلي ما يسمى بالتوجه النقدي، يصف واقعا مكذوبا

محوره هو الدبابات التي تهرس بكامل الحرية أطفال بنين، ولكنه يظهر توجهنا ربما يكون أكثر انتقادا، توجها عمادة القرن غير المعادن، القرف من القتلة الانتحاريين العرب، لا يظهر تجاههم أي رحمة أو تفهم "تقريبا"، وإذا فكرنا في خلفيته

الإسلامية و الفرنسية، فلسوف يعد هذا عملا شجاعا ويستحق التقدير".[1]

2-2- سيميائية عنوان "الصدمة":

إذا كان "فالاعتداء" عنوان مثير للقارئ الغربي، يتوافق مع أفكاره اتجاه القضية الفلسطينية الإسرائيلية، بل أكثر من ذلك أنه يثير فضوله لمعرفة كيف يتناول أديب عربي موضوع جديد معاصر وموضوع العمليات الانتحارية، لكن هل كان هذا العنوان سيلقى نفس الترحيب من طرف القارئ العربي؟ هل كانت هذه العتبة وسيلة مغرية للولوج إلى النص وتصفح أحداثه؟ هذا ما لا تعتقده وهذا ما نرى أن دار النشر تخوفت منه لذلك ارتأت أن تحول عنوان الرواية من "الإعتداء" إلى "الصدمة" حفاظا على مشاعر القارئ العربي من جهة، وخوفا على سوء تسويق الكتاب تجاريا من جهة أخرى، لذلك لم تبعد الصدمة عن مضمون الرواية بل على العكس من ذلك،فإذا ركز "الإعتداء" على أهم حدث في النص، فإن "الصدمة" ركزت على أهم شخصية فاعلة فيه وهي الشخصية المحورية المتمثلة في الطبيب العربي ذو الجنسية الإسرائيلية "أمين الجعفري"، فقبل الولوج إلى دلالة "الصدمة" يجب أن نعرج على

1- نائل الطوفي، هجوم ياسمينة خضراء في شوارعتل أبيب، ضريبة إسماع ضوت الرصاص المختلف، 22:10، 2015/04/03 ،www.Ahemara.org.

المعنى اللغوي، فالصدمة من الصَدْمُ: ضرب الشيء الصلب بشيء مثله وصَدَمَه صدمًا: ضربه بجسده، وصَدَمهم أمرُ: أصابهم وفي الحديث: الصَّبر عن الصَّدمة الأولى أي عند فورة المصيبة وحموتها، والصَّدمة: النزعة، والصَّدْم: الدَفعُ ويقال: لا أفعل الأمرين صدمة واحدة أي دفعة واحدة.[1]

وتحمل كلمة "الصدمة" دلالات رمزية،لعل أولها اختزال مغزى الرواية والدلالة على الموضوع احتوته إذ يعد العنوان "الصدمة" أول عتبة من عتبات الرواية وأول ما تقع عليه عين المتلقي العربي في الصفحة الأولى للغلاف وكما هو معروف فإن القارئ عند تناوله لكتاب ما، وقبل إلقاء نضرة على بعض صفحاته يقوم بتصفح الصفحة الأولى و الأخيرة لغلاف الكتاب فإذا كانت الصفحة الأولى غالبا ما تحتوي على بعض العتبات كاسم الناشر، صورة الغلاف، الإعتداء والعنوان الذي يعد من أهم هذه العناصر، فإن الصفحة الأخيرة للكتاب أصبحت حديثا تضم نبذة عن حياة المؤلف، اسم المترجم، وتصدير الكتاب هذا الأخيرة الذي يعرفه "بونيت" بأنه اقتباس يتموضع عامة على رأس الكتاب أو في جزء منه،[2] وهو ما نجده في هذه الرواية كاقتباس أو بالأحرى ملخص مقتضب جدا للرواية، ومفسر للعنوان بالدرجة الأولى، إذ تحيل "الصدمة" من خلال تصدير الكتاب إلى البطل أمين الجعفري الجراح الإسرائيلي من أصل عربي الذي يستدعي بصورة طارئة للتعرف إلى الجثة الممزقة

1- ابن منظور، لسان العرب، مجلد 8، دار صادر، بيروت، ص217.

2- عبد الحق بلعابد، عتبات جيرار جنيت من النص إلى الناطق، الدار العربية للعلوم ناشرون،ط1، لبنان، 2008، ص107.

للمرأة الانتحارية والتي تضعه وضعية الكارثة بعد أن يكشف أنها زوجته "سهام" تلك الزوجة المرحة المحبة للمياه والتي تقاسم معها لسنوات طويلة حياة سعيدة وحميمة، إذ الصدمة هي تعبير عن واقعة غير منتظرة وغير مهيأ لها نفسيا أو فكريا من طرف أمين الجعفري، بل أكثر من ذلك فهي واقعة مفاجأة بالنسبة له شكلت له حالة من الهلع والفوضى سيطرت على نفسه واستمرت لوقت طويل معه وهو يحاول فيما معرفة كيف أبعدته "سهام" امرأة حياته عن حياتها؟ كيف جعل أهم شيء عنها؟ كيف لم يلتقط الإشارات التي بعثتها له قبل انتحارها؟ كيف استجابت معشوقته لعظات الآخرين بدلا من قصائده الشاعرية؟ كيف استطاعت التضحية بحيتها من أجل خلاص من يختبؤن في أوكارهم؟ وتتواصل تجربته غير المتوقعة التي لا تستطيع تقبلها بعد تعرفه على رجال المقاومة وعلى عالم جديد يقبل فيه الشباب في مقتبل العمر على الاستشهاد بمباركة شيوخ ما، فيهلع من حالة الفخر التي يشعر بها المرء حين يرسل أشخاص إلى حتفهم لكي يعيش آخرون أحرار وسعداء، ويرفض فكرة التضحية بالعادلين والسماح للأقل عدلا بالبقاء على قيد الحياة، ويدعون الأخيار إلى الموت كي يواصل الجثاء والحسنيون والسفلة التكاثر مثل الجرذان.[1]

أذن الصدمة" النسخة العربية "للاعتداء" ارتبطت بشكل مباشر بالشخصية المحورية في الرواية، وما ورد في النص من شخصيات أخرى (كيم يهودا/ عادل/ وسام/ فاتن...) يجيء ليخدم الشخصية المحورية ومن هنا كانت "الصدمة" تعبيرا هن

1- ياسمينة خضرة، الصدمة، ص141.

حالة المد والجزر التي تختلج أمين، بين الاقتراب و الابتعاد عن الوصول إلى الهدف وتحقيق غايته في البحث عن الحقيقة.

إذن فقط تمكن الكاتب بوصفه المرسل للعنوان قانونيا، أو دار النشر التي قد تشارك أحيانا بوضع رزنامة من العناوين ذات الواقع التجاري والاجتماعي أو حتى التحفظي حتى يلائم الجمهور الذي سيرتحل العنوان على ألسنتهم حتى ولو لم يقرؤوا الكتاب، وهو ما يدعي بالتلقي العنواني، أي أن النص يرسل إلى القارئ بينما يرسل العنوان إلى الجمهور لذلك تم تحويل العنوان من "الاعتداء" إلى "الصدمة" حيث تمكنت الجهة المسؤولة عن ذلك بإفراغ العنوان من مضمونه السياسي أو الإيديولوجي والذي يثير لغضا كبيرا ليناقش القارئ ويتبادل مع التساؤلات والحيرة دون أحكام مسبقة أو مسلمات جاهزة لذا يمكن القول أن العنوان "الصدمة" استطاع أن يبعد الأحكام المسبقة المدنية وغير المدنية لمجموع الأحداث التي نتجت أصلا عن واقع يقوم على مفارقات الأحداث التي زج بالبطل فيها دون أن يكون له مجال الاختيار، هذه المواقف عملت على عرض الواقع البشع وتعرية الحقيقة فيه مهما كانت صادمة.

وعلى صعيد آخر كانت "الصدمة" صادمة للقارئ العربي في طريقة سردها للأحداث بأسلوب مستفز لا يريح القارئ أبدا ويخاطبه بما لا يريد أن يسمع لجرح فلسطين الذي لا يريد أن يسمع لغة السلام بين العرب وإسرائيل، لغة صارت قديمة مخزية، صادمة له في اختيار أغلب الضحايا من الأطفال ممن كانوا يحتفلون بعيد

ميلاد صديقهم والبالغ عددهم أحد عشر تلميذا من بين تسعة عشر قتيلا، وكأنه أراد أن يستفز القارئ في قناعاته حول العمليات الاستشهادية عندما تودي بحياة أطفال أبرياء، هل هذه الحالة يكون يبقى مؤيد للعمليات الاستشهادية؟ هل الاعتداء على الأطفال الأبرياء شهادة؟ هل هو الإرهاب؟ أم دفاع عن النفس والوطن؟ بينما في أوساط المجتمعات الغربية فالأمر واضح خاصة وأنها مؤمنة بفلسفة كانط التي تقول إحدى مقولاتها "لو كانت سعادة العالم بأسره مرهونة بقتل طفل بريء، لاعتبر قتل هذا الطفل جريمة لا تغتفر"، هنا يضع القارئ العربي موضع التساؤلات فهو يرى في العمليات الاستشهادية عمل مشروع بل أكثر من ذلك جهاد في سبيل الله ووسيلة فعالة ضد أعداء الدين لما لها من النكاية وإيقاع الإصابات بهم من قتل وجرح ولما فيها من بث الرعب والقلق والهلع فيهم لكن هل تحافظ هذه العمليات الاستشهادية على مشروعيتها حين يرتبط الضحايا بالأطفال؟، صحيح أن القارئ العربي يبكي حين عندما يرى الاستشهاديين يقرؤون وصاياهم الأخيرة وينحسر على شبابهم لكنه في الوقت نفسه يشعر بالفرحة المنتقم لشرفه، إنه على يقين بأن الأطفال الإسرائيليين والفلسطينيين يكبرون وهم يشعرون أن قدرهم هو الدخول في صراع مع جيرانهم، لذلك فهو لا يريد أن يتألم لأطفال العدو فأطفالنا يموتون كل يوم، فالغارات الصهيونية تستهدف يوميا مجموعات من الأطفال، لكن القارئ العربي يصدم بشخصية أمين الجعفري الذي لم يكن يبالي بقضية، بل يريد أن ينتقم ممن جند زوجته لتكون مشروع

انفجار، وهكذا يجعلك الكاتب تقرأ ببغض وخنق وترد على البطل في كل مرة يجرؤ فيها على إدانة الفدائيين، فالقارئ يكاد يتحول هو نفسه ضحية الحوار الدائم على طول الرواية، ويستمر الأمر على ما هو عليه إلى أن يقتل البطل في عملية نفذها الجيش الإسرائيلي وحينها يدرك أمين أن منفذي العمليات لا يحبون الموت ولكنهم لم يجدوا إلى الحياة الكريمة سبيلا فاختاروا حياة أخرى لا بد أنها ستكون أجمل أو أقل قسوة ، وكما يقول الشيخ أحمد ياسين: "أنا أحب الحياة جدا، لكنني أرفض الذل والخنوع والعدوان على نفسي".

فا"لصدمة"بدءا بالعنوان أثارت صخبا سياسيا ومنهم من اعتقد أن الروائي خليف الصهاينة، فيجيبهم صاحب الرواية فيقول: "لقد دافعت عن القضية الفلسطينية بذكاء، ولا أعتقد أنه بوجود كتاب عبر العالم دافع عن الفلسطينيين، مثلما دافع عنهم هذا الكتاب، وكل الذين استنكروا الرواية فعلو ذلك عن جهل، فهم لم يقرؤوا سطرا منها، للأسف الشديد لقد وقفت إلى جانب الفلسطينيين أما الذين قالوا إنني قدمت الشخصية الفلسطينية في صورة سلبية فهؤلاء نظروا إليها عبر النظرة الشخصية الإسرائيلية، ولم يفهموا أنها ليست نظرة الكاتب، اخترت زوجا فلسطينيا يعيش في كل أبيب، وحقق اندماجه، لكن رغم ذلك، يقرر تحطيم الأسطورة الصهيونية عبر التفجير الذي قامت به سهام.[1]

1 - hllp: // www.elkhabar.com 17- 2- 2014

فإذا ما قارنا بين عنواني "الاعتداء" و"الصدمة" لوجدنا هذا الأخير أخف وطأ على القارئ أو الملتقى العربي من "الاعتداء" الذي قد يحمل حكما إيديولوجيا مسبقا من الكاتب، كما أسلفنا ذلك سابقا.

2-المبحث الثالث: وظائف العنوان.

تعد وظائف العنوان من الباحث المعقدة للنص الموازي، إلا أن معظمها يدرك من خلال النص، فالنص إذا هو الذي يحدد طبيعة هذه الوظيفة وهو الذي يمكننا من فهم المحتوى رسالة العنوان.

على أن للعنوان وظيفة خاصة وهي أيضا – حسب – إيكو (Eco) – "يشوش الأفكار لا أن يثبتها"[1]، من المنظور أنه يفاجئ المتلقي بسكر أفق التوقع، فهو يفهم من العنوان شيئا ما، كما قد لا يفهم من أي شيء، ثم يصطدم بالنص ليفهم رسالة العنوان ويعتبر الكثير من الباحثين العنوان رسالة لغوية بالمفهوم السيميائي لذلك يعاملونه معاملة النص الكامل، فتجري عليه وظائف جاكبسون (Jakobson) كما تجري على أشكال الخطاب الأخرى وهي: الوظيفة المرجعية، الانفعالية، التأثيرية، الشعرية أو جمالية، الميثالغوية (ما وراء اللغة)، البصرية أو الأيقونية[2]، غير أن العنوان أثبت مع تورط النقد أن له تعقيد ما واختلاف وجهات مقاربتها.

وارتأينا في بحثنا هذا أن نأخذ بالوظائف التي جاء بها "جنين" بعد أن فصل فيها تاريخا وانشغالا وإجراءا وهي أربعة وظائف:

---

1 – بخولة بن الدين: عتبات النص الأدبي، مقاربة السيميائية، الموقع الإلكتروني، www.uob.edm.bh 2015-04-27 16: 34

2– ينظر: جميل حمداوي، السيوطيقا والعنونة، مجلة عالم الفكر، مج 25 ، ط 3، الكويت، 1997، ص103.

1- الوظيفة التعينية (f. désignation)

هي وظيفة الإعلان عن المحتوى، تحمل تسمية العمل المنجز وتحدد بذالك وجوده فتجعله متداولا ومعروفا متميزا عن غيره من العناوين، يشبهها جونيت بتسمية الطفل الذي سيتم تسجيله به حيث يقول: "أن تسمي كتابا، يعني أن تعينه/ تعنيه (designer)، كما نسمي شخصا تماما، لهذا انسحبت نظام التسمية على العنوان".

إذن فعنونة "الصدمة" أو "الاعتداء" هو اختيار الكاتب أو الناشر لاسم الكتاب حتى يتم تداوله بين القراء ويسهل من عملية الشراء والسؤال عنه في المكتبات، والتعرف عليه بأقل ما يمكن من احتمالات اللبس، فالوظيفة التعينية أو التعريفية هي وظيفة الوحيدة الإلزامية والضرورية، إلا أنها لا تفصل عن باقي الوظائف الأخرى لأنها دائمة الحضور ومحيطة بالمعنى، خاصة وأنها تميز بين النصوص وتعطي لمنتج النص هوية.[1]

إلا أن الذي ينعم النظر في العناوين ولا سيما في الحادثة يجد أن الكاتب لا يقصد وظيفة التعيين (f. tesignation) لأنها قاصرة وتقصي العنوان عن أن يكون ذا رسالة، لذا فياسمينة خضراء ربط "الصدمة" و "الاعتداء" بالنص ليعين المحتوى، وبذلك تجسم وظيفة العنوان مع ما ورد في تعريف المعاجم من جهة، وتعين وظيفة أخرى هي الإعلان عن المحتوى من جهة أخرى، وبهذا العنوان مجملا والنص نشرا له تفضيلا على النحو ما يظهر بوضوح في دراستنا هذه، "فالصدمة" يضع القارئ

1- ينظر: عبد الحق بلعابد، المرجع السابق، ص75.

مثل "الاعتداء" في جو النص ونوع الأزمة التي تواجه الشخصية، مما يثير فضوله وانتباهه، ويقدم له معرفة أو شارات في فهم مغزى النص وفتح ما استغلق من.

2- الوظيفة الوصفية (f. dexriptne)

ويسميها "جنيت" الوظيفة الإيحائية (connotation) لأنها الوظيفة التي يقوم العنوان عن طريقها شيئا عن النص، وهي الوظيفة المسؤولة عن الانتقادات الموجهة للعنوان" غير أنه لابد أن يراعي في تحديدها الواجهة الاختيارية للمرسل (المعنون)، أو الملاحظات التي يأتي بها هذا الوصف الحتمي.[1]

الأمر الذي دفع صاحب الرواية إلى سن شفرة لغوية والمتمثلة في مصطلح "الاعتداء" حتى يصف بها مضمون الرسالة أو النص لغويا، مستعينا بالقواعد اللغوية والنحوية حتى بالمعجم الإيديولوجي المشترك بين وبين القارئ الغربي حتى يتمكن من فك شفرتها وهو نفس الأمر بالنسبة لعنوان "الصدمة" المعبر عن نفس الرسالة لكن موجها هذه المرة إلى القارئ العربي، كما أسلفنا ذلك سابقا، وبذلك تكون التأويلات المقدمة من المرسل إليه (المعنون له) الحاضر دائما كفريضة لمحفزات المرسل (المعنون) أو الكاتب الأمر الذي أدى إلى تغير العنوان في مقاربتنا السيميائية كمفتاح تأويلي للعنوان، ولهذا الوظيفة مسميات أخرى نذكر منها: الوظيفة التلخيصية عند "غولد نشتاين"، أو الوظيفة الدلالية عند "ميهايلة" أما "كونتوروويس" فيسميها بالوظيفة اللغوية الوصفية، وهي الوظيفة التي يراها "جوزيب بيزا" تعبر بالأمانة عن هذه الوظيفة

1- ينظر:عبد الحق بلعابد، المرجع السابق، ص86.

مناقشا في ذلك الأطروحات التي قدمها "جنيت"[1]، هذا الأخير كان مدركا لهذه الصعوبات والتعقيد الذي يكشف وظائف العنوان كما أشرنا إلى ذلك سابقا، الأمر الذي دفعنا إلى تبين تقسيمه لوظائف العنوان.

إذن فالوظيفة الوصفية هي وظيفة براهماتية محصنة، إذ يسعى العنوان عبرها إلى تحقيق أكبر مردودية ممكنة، الأمر لذي يجعل المبدعين والمنظرين يبدون اهتماما وانزعاجا وتخوفا في نفس الوقت أمام التأثير الذي يمارس العنوان عند تلقي النص بفعل خاصيته التثقيفية الموجهة للقارئ.

3- الوظيفة الإيحائية (F. Connotation) :

تمايز بها الكتابات الأدبية عن سواها من الكتابات العلمية والأكاديمية التي تفرض على العنوان الدقة والتحديد حتى يترجم المضمون ما يعرضه، في الوقت الذي تصبح فيه الوظيفة الإيحائية مجال تنافس بين عناوين الكتابة الأدبية بهدف الحصول على أكبر قدر من التعقيم والغموض الداعي إلى الفضول ورغبة الكشف عن هذه الإيحاءات وما تحيل عليه داخل النص فتصبح محل جذب وإغراء، دمج "جنيت" هذه الوظيفة في بادئ الأمر مع الوظيفة الوصفية، لارتباطها الشديد بها ولا يستطيع أي كاتب التخلي عنها سوءا أراد ذلك أم لا، إلا أنها ليست دائما قصديه بل لها طريقتها

1- ينظر:عبد الحق بلعابد، المرجع السابق، ص86.

في الوجود وأسلوبها الخاص لهذا لا يمكننا في رأي "جنيت" الحديث عن الوظيفة الإيحائية وإنما عن الوظيفة الإيحائية.[1]

تساعدها في ذلك الوظيفة التناصية التي تعمل على بناء مرجعية وخلفية سابقة لوجود العنوان تمنحه عمقا في الدلالة وتكثيفا للمعنى، ولعل عنوان مثل "الصدمة" أو "الاعتداء" لياسمينة خضراء يؤكد بما لا يدع مجالا للشك ارتكازها على الموروث الفكري والإيديولوجي معه، بما يجعلنا نستنتج أنها تقدم لنا معلومات وتحيل إلى مرجعيات أكثر من مجرد قراءة للعناوين.

فالعنوان يقدم رؤية المؤلف من جهة ويتقاطع في الوقت نفسه مع رأي غيره، ويشير إلى الموضوع تفسر فيه دلالات النص، ويحيل في نفس الوقت لأفكار وآراء القارئ حول نفس الموضوع، الأمر الذي يجعله دائما في موضع مقارنة بين ما يجعله العنوان من دلالة وما يحمله القارئ من مرجعية خاصة لاستنباط ما وراء الكلام، فالعنوان لا يقدم مرجعية الكاتب على طبق من فضة، ولا كنه يساعد على اكتشافها.

إذن العنوان في الوظيفة الإيحائية لا يرد اتفقا كما في وظيفة التعين ولا شفاقا مباشرا كما في وظيفة الوصف، وإنما ينهض على الإيحاء فهو يخاطب من القارئ ثقافته ومكانته فهمه ليس التواصل إلى عكس المضمون أو الشكل بقدر ما تعنيه مفاجأة القارئ، مثل عنوان "الاعتداء" الذي يلمح إلى العمليات الاستشهادية أو مدى

1- ينظر:عبد الحق بلعابد، المرجع السابق، ص86.

شرعية العمليات الانتحارية وإلى "الصدمة" الذي يحيل شخصية أمين الجعفري الطبيب المصدوم بتنفيذ زوجته للهجوم الانتحاري.

فقيمة الوظيفة الإيحائية تكمن في كون المؤلف عند وضعه لعنوان لا يسلم مفاتيح الأثر إلى القارئ بل يلغو ويغالط ويسحب تلك المفاتيح قاصدا عامدا وذلك من إجل إثراء النص .

4- الوظيفة الإغرائية (F. Séductine)

هي وظيفة التي يتسم فيها العنوان بالتشويق وانتظارا للقارئ حول مضمون النص، غير أن "جنيت" يرى "بأن الوظيفة مشكوك في نجاتها عن باقي الوظائف، وهي في حضورها وغيابها تستقل بأفضليتها عن الوظيفة الثالثة دون الثانية، ففي حضورها يمكنها أن تظهر إيجابياتها أو سلبياتها أو حتى عدميتها بحسب مستقبليها الذين لا تتطابق قناعتهم وأفكارهم دائما مع أفكار (المرسل/المعنون/ الذي يريد المرسل إليه (المعنون له) حمله عليه".[1]

فأهميتها تكمن في كونها إشهارا للنص مهما كان جنسه، لذلك يولي الكاتب أهمية كبيرة عند وضعه للعنوان للمتلقي أولا حتى يثيره بعنوان مغزى لحدسه وفضوله وحتى يقبل على قراءة النص، لذلك فسمه الكتابة الحديثة هي العناوين المثيرة للغاية التي يكشفها الغموض وتحيط بها علامات إستفاهم كثيرة مثل العنوان الموجود بين أيدينا فبالرغم من بساطته لكنه يثير الكثير من التساؤلات في ذهنية القارئ إلى حد إلى أن

1- ينظر: عبد الحق بلعابد، المرجع السابق، ص87 .

يجعله في بعض الأحيان يرغب قي مراجعة مبادئه وإعادة النظر في بديهياته المسلم بها، فإذا كان "الاعتداء" أو "الصدمة" عنوانا مغريا إلى حد إلا أنه بسيط في ذات الوقت مرتبط بالواقع المعيش وبالقضايا المتداولة على الساحة السياسية والإعلامية اليوم، فياسمينة خضراء لم يعمد العناوين الرنانة التي لا تمت بصلة إلى النص وإنما تقتصر على إغراء المتلقي الذي يتفاجئ بتفاهة النص، ولهذا السبب طرح "جنيت" هذا التساؤل: أن يكون العنوان سمسارا للكتاب، ولا يكون سمسارا لنفسه؟ فرد "جون بارث" على أولئك الذين يتلهفون وراء العناوين الطنانة بضرورة أن يكون الكتاب أغرى من عنوانه، أحسن من أن يكون العنوان أغرى من الكتاب، وذلك في الحفاظ على ميثاق الأخلاقي للقراءة.[1]

وبالتالي هذا العنوان من العناوين المبالغ فيه المعتمد على التأنق المفضوح يكون على حساب النص ومضمونه قصد تحقيق أكبلا المبيعات، لكن سرعان ما يفتضح الأمر باكتشاف القارئ للتناقض بين العنوان والمحتوى النص أنه لأنه لم يعد مغفلا كما كان يعتقد بل هو قارئ سيد.

لكن يبقى عنوان المؤلف ما، هو الذي يمنح القارئ فكرة الأولى عنه، وهدا الإحساس الأول على قدر ما يكون جذبا (مغريا) أو مبهرا للذهن والعين، يترك فيه أثر لمدة قد تطول أو تقصر، لذا على المؤلف أو الناشر أن يوحدا الجهود لإحداث توقع مقبول، أحدهما عن طريق التبسيط والاختزال عند وضعه للعنوان عليه أن

1- ينظر: عبد الحق بلعابد، المرجع السابق، ص87.

يعطي فكرة تامة قدر الإمكان عن محتوى المؤلف مصرا مع ذلك على إثارة فضول القارئ وفي نفس الوقت يقدم له نظرة منتظمة بلا رثابة.

إن جميع وظائف العنوان تقود أولا وقبل كل شيء إلى النص سواء الوظيفة التعينية الابتدائية التي تعين النص بالاسم، أو الوظيفة الوصفية التي تحدده وتقدم خطوة أخرى إلى داخله أكثر من الوظيفة التعينية، أو الوظيفة الإيحائية التي تترك للقارئ حرية التجول في غياهب النص، أو الوظيفة الإغرائية وهي تدعو القارئ بالوسائل المختلفة، الفنية وغير الفنية، إلى الإقبال عليه، ومجمل القول هنا أن عنوان "الاعتداء" أو "الصدمة" تضمن جميع هذه الوظائف وبدرجة أقل الوظيفة الإغرائية وذلك لحساسية الموضوع المتناول إلا أنه كلا العنوانين يقودان إلى النص، وناقلة القول أن نعتقد بوجود عنوان دون نص، حتى لدى تلك الفئة، التي تتعامل مع لعناوين لكنها لا اقرأ النصوص، لأنه ثمة نص افتراضي يتشكل في ذهن بمجرد رؤية العنوان فهو نص لم تبتدئ بعد قراءته.

الخاتمة

خاتمة:

تعد "سيميائية العنوان" من القضايا النقدية المهمة التي خاض فيها النقاد المحدثون، لأنه يؤدي دورا أساسيا في فهم المعاني العميقة للعمل الأدبي، ومن هنا كان الاهتمام به أمرا حتميا لأنّه أول عتبات النّص التي يمكن من خلالها الولوج إلى معالمه وفتح مغاليقه والتعمق في شعابه التائهة.

وأسفرت معالجتنا لسيمياء العنوان في رواية "الإعتداء" أو" الصدمة" لياسمينة خضراء عن النتائج التالية:

المستوى النظري:

- ارتبط تاريخ السيميائيات بتاريخ تأويل العلامة لأنها أداة الإنسان المركزية في أنتاج الفكر و ليست فقط أداة تبليغية.
- يعتبر "علم العنوان "علم حديث النشأة ، تأسس على يد (ليوهوك) مع كتابه" سمة العنوان" سنة 1973، ويعد كتاب "عتبات" ل (جيرار جونيت) بمثابة الديوان الحقيقي في علم العنونة، وأم دراسة علمية ممنهجة في مقاربة العتبات بصفة عامة والعنوان بصفة خاصة.
- يعتبر العنوان نقطة الوصل بين طرفي الرسالة ممثلة في ثنائية" المبدع و المستقبل"، لذلك يتناوله المؤلفون بالعناية و الإهتمام، حتى يكون مصدر إلهام و حافزا للبحث في أغوار العمل الفكري.

المستوى التطبيقي:

- جاء كل من عنوان "الاعتداء" و "الصدمة" في أقصى اللغة اقتصادا.
- اختيار عنوان "الاعتداء" للنسخة الأم المكتوبة باللغة الفرنسية ، إختيار فائق العناية رغم بساطته ، يثير الكثير من التساؤلات بمجرد قراءته خاصة السؤال الأولي (اعتداء من على من؟).

"الاعتداء" عنوان واقعي من انتقاء رجل عسكري سياسي قبل أن يكون أديبا، لذا فاختياره للعنوان لم يكن بشكل اعتباطي وإنما هو اختيار يعكس رؤيته للموضوع المتناول في الرواية.

- جاء العنوان بطابعه الحيادي ليفتح للقارئ التأويلات وليفصح الروائي من البداية أنه لا يريد الدخول في جدل الموقف السياسي أو الإيديولوجي.
- اختيار عنوان"الإعتداء" من المعجم الدلالي لبطل الرواية أمين الجعفري دليل على إدانة ياسمينة خضراء للعمليات الاستشهادية.
- حملت النسخة العربية لرواية "الإعتداء" عنوان " الصدمة" الذي يحيلنا إلى بطل الرواية أمين الجعفري، وكيف أنه صدم لما اكتشف أن زوجته هي منفذة العملية الانتحارية في تل أبيب.
- كما تحمل " الصدمة" صدمة للقارئ أو المتلقي العربي بعوالمها وشخصياتها وموضوع الصراع العربي الإسرائيلي من وجهة نظر الشخصية العربية

الإسرائيلية.

- تم تغيير الترجمة من "الاعتداء" الى " الصدمة" حتى يتم إفراغ العنوان من مضمونه السياسي و الإيديولوجي حتى لا تقابل بالرفض قبل قراءتها من قبل المتلقي العربي.

تضمن كل من عنوان " الاعتداء" و "الصدمة" وظيفة التعيين،الوصف،والإيحاء وبدرجة أقل الوظيفة الإغرائية وذلك لواقعية الموضوع المتناول المتعلق بالصراع العربي الإسرائيلي.والذي لا يحتاج الى اللعب بالكلمات بقدر احتياجه الى التمكن من لغة الحوار والنقاش دون إعطاء وجهة نظر مسبقة حول موضوع "العمليات الانتحارية.

قام كل من " الإعتداء" أو "الصدمة" بنجدة القارئ إلى طريقة القراءة المواتية لاستيعاب الرواية من خلال مشاركته في تقديم أجوبة عن رواية ، تعد رواية تساؤلات بالدرجة الأولى.

إن هذا البحث قد ترك لنا الباب مواربا للدخول الى عالم ياسمينة خضراء من خلال دراسة عناوين رواياته الأخرى الغنية بالدلالات، والتي تفتح شهية البحث فيه سيميائيا كمشروع مستقبلي، يحتاج لإرادة علمية و أسلحة معرفية أكثر مما جاء في هذا البحث.

قائمة
المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع :

- القرآن الكريم

I. المصادر:

1- ياسمينة خضرة، الصدمة، تر: نهلة بيضون، دار سيديا، الجزائر، 2007.

II. المراجع:

2- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، دار صادر، مجلد 7، الطبعة1، 2004.

3- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، دار صادر، مجلد 7، ط1، 2004.

4- أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، مجلد1، ط1، القاهرة، 2008.

5- أمبرتو إيكو، العلامة تحليل المفهوم وتاريخه، تر: سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، ط2، بيروت، 2010.

6- أمبرتو إيكو، العلامة تحليل المفهوم وتاريخه، تر: سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، ط1، لبنان، 2000.

7- بسام قطوس، سيمياء العنوان، وزارة الثقافة، ط1، عمان، الأردن، 2001.

8- جوزيف كورتيس، مدخل إلى السيميائيات السردية، تر: جمال حضري، الدار العربية للعلوم، ط1، لبنان،2007.

9- الحافظ أبي فداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن الكريم، دار حزم، ط1، لبنان، 2000.

10- حنون مبارك، دروس في السيميائيات، دار توبقال للنشر، ط1، الدار البيضاء، المغرب،1987.

11- رولان بارت، مبادئ في علم الأدلة، ترجمة محمد البكري، الدار البيضاء،1986.

12- سعيد بن كراد، السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، منشورات الزمن مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء المغرب، 2003.

13- سيزا قاسم، القارئ والنص، المجلس الأعلى للثقافة، مصر،2000.

14- عبد الله الغذامي، الخطيئة والتكفير، من البنيوية إلى التشريحية، قراءة نقدية لنموذج إنساني معاصر، مقدمة نظرية ودراسة تطبيقية، ط1،المغرب، لبنان، 1985.

15- عبد الحق بلعابد، عتبات جيرار جنيت من النص إلى المناطق، الدار العربية للعلو الناشرون منشورات الاختلاف، ط1، لبنان، الجزائر، 2008.

16- فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، الدار العربية للعلوم، ط1، لبنان 2010

بير غيرو، السيمياء، ترجمة أنطوان أبي زيد، منشورات عويدات، ط1، بيروت لبنان، 1984.

17- فرديناند دي سوسير، محاضرات في الألسنة العامة، تر: يوسف غازي، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1986.

18- محمد سالم سعد الله، مملكة النصر التحليل السيميائي للنقد البلاغي، عالم الكتب الحديثة، ط1، الأردن، 2007.

19- معن زيادة وآخرون، موسوعة الفلسفية العربية، ، معهد الانتماء العربي، ط1، بيروت، لبنان، 1986.

III. المجلات:

20- مجلة عالم الفكر، مجلد 25، العدد 30، الكويت، جانفي– مارس 1997.

21- مجلة الفكر، مجلد28، العدد 01، الكويت، مارس، 1999.

IV. المحاضرات:

22- محاضرات الملتقى الدول السادس للسيمياء والنص الأدبي، جامعة بسكرة، الجزائر، من 18 – 20 أفريل 2011.

23- محاضرات الملتقى الدول الخامس للسيمياء والنص الأدبي، جامعة بسكرة، الجزائر، جوان 2008.

V. المواقع الإلكترونية:

24- www.yasminakhadra.com

25- ،www.ahemar.org

26- www.elkhabar.com

27- www.uob.edm.bh

الملاحق

تعريف الكاتب

تعريف الكاتب:

ياسمينة خضرة اسم مستعار لضابط سام سابق في الجيش الجزائري اسمه الحقيقي محمد مولسهول، ولد بتاريخ 10 يناير 1955 بالقنادسة بشار نشأ في اسرة بسيطة كان والده ممرضا، أما والدته فمن البدو الرحل، في عمر التاسعة التحق بمؤسسة تابعة للجيش الجزائري،هي المدرسة الوطنية لأشبال الثورة بالقليعة أين تلقى تعليمه بها، وتخرج منها برتبة ملازم عام 1978 وانخرط في القوات المسلحة،في سن الثامنة عشر أتم كتابة روايته الأولى "حرية" التي لم يكتب لها أن ترى النور إلا بعد إحدى عشر عاما من ميلادها وفي عام 1989 أحالته قيادة الجيش الجزائري إلى لجنة الرقابة بعد نشره باسمه الصريح وحصوله على بعض الجوائز خارج الوطن مما أثار حفيظة الجيش وفرضت عليه الرقابة على أعماله، ليحكم عليه بالإعدام الأدبي، فاقترحت عليه زوجته الكتابة بطريقة سرية وظل على ذلك لمدة 11 عاما، كان يكتب تحت اسم مستعار "ياسمينة خضرة" حيث اقترح ناشره الفرنسي إضافة حرف السين فأصبح الاسم نهائيا "ياسمينة خضرة" عرفانا بجميل زوجته من صبر ودعم وتقديره للمرأة بشكل عام، حيث عبرت له قائلة: "أعطيتني اسمك مدى الحياة وأنا أعطيتك اسمي للخلود"، تمسك بهذه الكنية حتى بعد تخليه عن رتبة ضابط، وكشف هويته الحقيقية، وبعد قرابة ست وثلاثين سنة في صفوف الجيش يغادره برتبة سامية commandant سنة 200، انتقل بعدها مباشرة رفقة أسرته المكونة من زوجته وثلاثة

أطفال إلى المكسيك، ثم إلى فرنسا في جانفي 2001 أين قرر أن يكرس بقية حياته للأدب والكتابة كقرار نهائي لا رجعة عنه، ونشر في السنة نفسها رواية "الكاتب" واختار هذه المناسبة فرصة للإفصاح عن اسمه الحقيقي للجمهور والصحافة، تليها "دجل الكلمات" كتاب يبرز فيه مسيرته المهنية، وتبلغ شهرته حد العالمية حيث ترجم وتباع كتبه في 25 بلد حول العالم، تتطرق أفكار ياسمينة خضرة إلى مواضع تهز أفكار الغربيين عن العالم العربي، حيث ينتقد الحماقات البشرية وثقافة العنف، ويتحدث عن جمال سحر وطنه الأم الجزائر، ولكن أيضا عن الجنون الذي يكتسح كل مكان بفضل الخوف وبيع الضمائر متذرعا بالدين ومخلقا وراءه حمامات من الدم، يرجع ياسمينة خضراء سبب كتابته بالغة الفرنسية إلى تشجيع السيد دافيس أستاذ اللغة الفرنسية له واهتمامه بكتاباته، في حين كتاباته باللغة العربية لم تلقى نفس التشجيع من طرف أساتذة اللغة العربية الذي كان يلاقي منهم الشتم عند عرضه للقصائد، خاصة وأنه كان مولعا بالمتنبي ويريد اقتناء أثره فتخلى عن حلم الشاعر العربي لصالح الأديب الكاتب بإحساس يدوي عربي باللغة الفرنسية.

أهم أعماله:

- آمين 1984.
- حورية 1984.
- معرض الأوباش 1993.

- الربيع الوهم 1998.
- أبيض مزدوج 1998.
- سنونوات كابل 2002.
- فضل الليل على النهار 2008.
- آلهة الشدائد 2011.
- المعادلة الإفريقية 2011.
- الملائكة تموت من جراحنا 2013.
- ماذا تنتظر القراءة 2014.

نال ياسمينة خضرة العديد من الجوائز عن جل أعماله التي حظيت بالشهرة عالمية وترجمت إلى أكثر من عشر لغات كما اقتحمت أكثر ما يفوق واحد وأربعون دولة، لذا تم تكريمه بجائزة مرموقة هي جائزة الكبرى للأدب عام 2011 التي تمنحها الأكاديمية الفرنسية "معجم بيتي روبرت "الاعتداء "l'ttentant "الصادرة سنة 2005 والمترجمة من طرف نهلة بيضون – أستاذة في جامعة البلمند اللبنانية في كلية العلوم الاجتماعية، قسم اللغات والترجمة حملت عنوان "الصدمة" فكانت موضوع دراستنا، وقد حازت هذه الرواية على جائزة المكتبات سنة 2006 وجائزة مدارات 2006، الجائزة الكبرى لقارئات مجلةcote femme ، والجائزة الأدبية لتلامذة بورغوفيا، بالإضافة إلى جائزة قراءة صحيفة télégramme وقد اقتبست إلى السينما في الولايات المتحدة.

ملخص الرواية

ملخص الرواية:

نشرت رواية "الصدمة للروائي" الجزائري باللغة الفرنسية عام 2005 يبلغ عدد صفحاتها 245 صفحة عن دار جوليار. وصدرت ترجمتها باللغة العربية بعد عامين من نشرها عام 2007 من قبل المترجمة" نهلة بيضون "عن منشورات سيديا، بلغ عدد صفحاتها 264 صفحة وهي من الحجم المتوسط.

تبدأ الرواية من نهايتها حيث تصور لنا مشهدا دمويا فضيعا نستكشف تفاصيله في النهاية.

تحكي هذه الرواية يوميات الدكتور "أمين الجعفري" طبيب جراح ناجح، يمارس مهنة الجراحة في مشفى بتل أبيب، هو عربي يحمل الجنسية الإسرائيلية مثله مثل مئات الآلاف من عرب 1984 والذين اختاروا البقاء في إسرائيل بعد النكبة. أمين يبدو منسجما مع زملائه من اليهود رغم بعض التحسس من كونه عربي الآباء والأجداد. لكنه يعيش حياة مستقرة وسعيدة. سيما أنّه مرتاح ماديا إلى حدّ كبير هذا إلى جانب حياة هنيئة يسودها الانسجام والتفاهم مع زوجته فلسطينية اختارها هي "سهام". ذات يوم وهو يمارس عمله كالمعتاد يهز انفجار ضخم الشارع المقابل للمشفى حتى أنّ آثاره تطال شبابيك المشفى و جدرانه. وكالعادة في مثل هذه الحوادث يصير المشفى في حالة استعداد قصوى وتطلق صفارات الإنذار لاستقبال الجرحى والمصابين بالصدمات النفسية وحتى القتلى. يقضي أمين اليوم كلّه في غرفة العمليات الى منتصف الليل، وحين تخور قواه يقرر العودة الى البيت آملا في اختلاس هدنة راحة من المشرط والأشلاء. في الطريق توقفه الدوريات الكثيرة ويخضع للتفتيش الدقيق ولنظرات الريبة التي تطفو على ملامح رجال الشرطة كلما وقعت أعينهم على اسمه العربي رغم جنسيته الإسرائيلية.

وبعد عناء كبير يصل أمين الى فيلته الجميلة في الحي الراقي، ويفاجأ بعدم عودة سهام من زيارتها لجدتها في: "كفركنا"، كان من المفترض أن تعود اليوم مبكرا ثم أنّها نسيت هاتفها الخلوي في البيت كعادتها. لكنه مرهق جدا فيقرر أن يأخذ قرصا منوما لعلّه يمن عليه بإغفاءة شبه مستحيلة بعد بشاعة مناظر غرفة العمليات. بعد قليل يرن جرس الهاتف يتردد أمين في الرد ثم يتناول السماعة. على الطرف الآخر صوت يدعوه للالتحاق بالمشفى فورا، إنه صوت "نافييد رونين "مسؤول رفيع المستوى في الشرطة، نشأت علاقة صداقة بينه وبين أمين بعد أن كان أشد المعارضين لبتر رجله كما قام له بعملية جراحية ناجحة له ولأمه. يتحجج أمين بعدم قدرته على الإمساك بالمشرط مرة أخرى، لكنّ نافييد يلح عليه بالمجيئ.

يوافق أمين لكنه يشترط تليغ الدوريات بمروره حتى يتجنب الإهانات السابقة. يصل أمين إلى المشفى فيسأله نافييد سؤالا مفاجئا غريبا: "هل زوجتك في البيت؟" و يجيب أمين بالنفي. يأخذه النقيب "موشي"أحد المرافقين لنافييد إلى غرفة الموتى، يتردد نافيد قليلا ثم يكشف له الغطاء عن جثة، مقطعة الأوصال في أبشع صورة رآها على مدار مشواره العملي، لم يبق منها إلا الرأس سليما. هنا يصدم أمين صدمة حياته إنها سهام زوجته، الملامح واضحة لا مجال للشك. تهوي السماء على رأسه دون أن يخطر بباله شيئ لهول الصدمة، الى أن يخبره موشي الضابط المكلف بالتحقيق بأن الخيوط الأولى تشير أن تقطيع الأوصال الذي أصاب جسد زوجته يبرز جروحا من تلك التي تصادف أجساد الانتحاريين الأصوليين. فيصدم صدمة أخرى بسماع أنها منفذة العملية، وأنها كانت تحمل حزاما ناسفا. يرفض أمين رفضا قاطعا هذا الاتهام في حق زوجته رغم تأكيد الطب الشرعي أنّ تقطيع الأوصال بهذه الطريقة لا يكون إلا في جسد حامل الحزام، ثم الشهود الذين تعرفوا على سهام وهي تخفي المتفجرات تحت ثوب تلبسه الحوامل.

يحتجز أمين للتحقيق معه ثم يطلق سراحه بعد ثلاثة أيام لعدم تورطه في العملية، وبعد عودته إلى البيت يتعرض للمضايقات والاعتداء من طرف الإسرائيليين. فيضطر لمغادرة منزله بمساعدة الطبيبة "كيم" التي تستضيفه في منزلها بعد إدراكها لخطورة الوضع عليه، تعتني به عناء شديدا حارصة على مشاعره، شديدة الرفق في معاملته.

بعد تحسن وضعه الصحي يقرر أمين العودة إلى بيته أين يستذكر حياته مع زوجته سهام، فرحها و ضحكاتها، شغفها بالحياة ومرحها وسعادتهما مع بعض، لكن يسترعي انتباهه وجود ظرف صغير بين الفواتير الموجودة في علبة البريد لا يوجد عليه اسم المرسل بل مجرد طابع مختوم من "بيت لحم" . يحتوي على رسالة مقتضبة مكتوبة في عجالة على ورقة ممزقة من دفتر مدرسي لا تتجاوز أربعة سطور من سهام، كانت كفيلة بقطع الشك لديه باليقين بأنها هي منفذة العملية، فلا يستوعب ما قرأه وكيف قامت بقتل أطفال أبرياء، كيف تقاسم لسنوات طويلة حياته مع شخصية كان يجهل عنها الأهم، تسائل الحقيقة فيه كل القيم التي آمن بها وكلّ ما اعتقد أنه يعرفه حق المعرفة وكلّ مبادئ الضمير الإنساني.

لهول هذه الصدمة يقرر أمين الانتقال من "بيت لحم " إلى" جنين" معقل المقاومة الفلسطينية باحثا عن جواب لسبب انتحار زوجته، مؤنبا نفسه لعدم انتباهه لموجة الخراب التي كانت تهدد باختطافها، كما يحاول أن يعثر على القائد الذي جند زوجته فيقتص منه، فيدخل في عوالم لم يعرفها ، يتعرف على فدائيين لا يشغلهم إلا الوطن ولا يبحثون إلا عن رد الاعتبار للقضية إنها أهم من الحياة نفسها.

كان هذا الانتقال رحلة عودة إلى جذوره، نوعا من "طقس الاختبار" وهناك بينما كان الناس يحتفون بشخصية سهام كبطلة كان ينظر إليه كمرتد و خائن، ويعامل وفقا لذلك بقسوة من رجال المقاومة، ومن رجال الدين، ومن رجال السلطة الوطنية الفلسطينية

الذين اعتبروه جاسوسا للإسرائيليين خاصة بعد إطلاق صراحة بعد ثلاثة أيام فقط من احتجازه، و لأنه لم يتقبل فكرة التضحية بالبعض من أجل سعادة البعض الآخر، ولا بفكرة إرسال أشخاص إلى حتفهم لكي يعيش الآخرون أحرار وسعداء، بالرغم من مشاهدته للظروف القاسية التي يجد الفلسطينيون أنفسهم مضطرين على العيش داخلها في بلادهم.

وتبلغ الرواية ذروتها في النقاشات التي تدور بين أمين و أحد أعضاء مسؤولين من حركة المقاومة الفلسطينية. خاصة عندما يوضح له هذا الأخير الفرق بين الإسلامي(المناضل السياسي)، والأصولي(المجاهد حتى الرمق الأخير)، وبين أبناء الشعب المضطهدون الذين يقاتلون بالوسائل المتاحة لاستعادة وطنهم وكرامتهم ، دون الانتماء لأي تيار سياسي وهذا ما كانت عليه سهام. لكن موقعه كطبيب يفرض عليه اتخاذ موقف منافح للحياة ضد الموت ولا يقبل بالتراجع عنه ، فمن يراه غيره عدوا له يراه أمين مريضه، لذا فحتى ولو تأثر بآراء وحجج الطرف المقابل إلا أنّه لم يقتنع بها.

خرج أمين فارغ الوفاض من هذه المغامرة لذا قرر العودة إلى تل أبيب في محاولة منه لاسترداد حياته من جديد، وإنجاز بعض الأشغال في بيته، في هذه الأثناء يلقي نظرة على ألبوم صور فيشاهد صورتين التقطت لسهام و"عادل" ابن أخته بالرضاعة ، بشكل يثير الريبة عنده لأن الصورتين توحي بأنهما التقطتا بالتناوب وفي نفس اللحظة ومن مدة زمنية ليست ببعيدة ،بسبب حقيبة اليد التي أهداها لها أمين. هي مؤشرات رأى فيها أمين أنها دليل خيانة من زوجته. فيقوده فضوله مجددا إلى جنين لمعرفة الحقيقة، لكن هذه المرة من لسان عادل أين يصطدم بشباب آخر من المقاومة قبل أن يصل إلى عادل يرون فيه تهديدا لتنظيمهم.لذا يرميه قائدهم في حفرة قذرة ستة أيام ويذيقه شيئا من العذاب والإهانة، وفي اليوم السابع يسلمه مسدسا ليطلب منه أن يقتله إن كان يريد ذلك حقا.ويخبره بأنه ما فعل ذلك إلا لصعوبة إفهامه سبب إقدام

زوجته وغيرها من الفدائيين على هذه العمليات الاستشهادية، لذا أراد أن يقصيه من مرتبته الاجتماعية حتى يعيش جسده حياة الذل وذهنه طعم الحقد، علّه يفهم سبب إقدام زوجته لتفجر نفسها، أو ارتماء الأطفال على الدبابات دون خوف، فالموت هو الخلاص الوحيد حين تعجز أن تعيش بكرامة وهذا ما أدركته سهام.

يطلق سراح أمين فيجد عادل بانتظاره ، فيعامله أمين بقسوة يظن عادل أن سبب ذلك هو استشهاد سهام فيخبره بأن لا ذنب له في الأمر، لأنها كانت مصممة عليه، حتى أن الشيخ "مروان" الذي كان يعده أمين السبب الرئيس في تجنيدها والتأثير عليها لم يستطع إقناعها بالعدول عن الأمر لأن حياتها كانت مفيدة أكثر من موتها في القضية، فقد كانت تضع حسابها المصرفي لصالح القضية،حتّى أنها كانت محرّك القضية في تل أبيب.

لكن كان هم أمين في هذه اللّحظة اكتشاف طبيعة العلاقة التي كانت تربطه بسهام، لذا بمجرد فهم عادل سبب هذا الحديث يعاتب عمه أمين بعنف بسبب هذا التفكير في سهام، فهي كانت امرأة فاضلة نقية وطاهرة ، عزفت عن الأمور الدنيوية لتهب حياتها لله. يسعد أمين بسماع ذلك، ويرى في هذا الكلام خلاصا من شكوكه وعذاباته ومصالحة مع نفسه.

في خضم هذا الواقع الجديد الذي يواجهه أمين يقرر زيارة بيت عمه القديم وهناك يحن إلى طفولة بعيدة. كأنه أراد أن ينساها في رحلة تحقيق ذاته، فيقع على حقيقة واقع المقاومة المرير والفقر والذل وهدم بيوت الشهداء والقتل اليومي والجدار العازل. وفجأة يجد تفسيرا لفعل سهام، نعم لقد نشأت بين هؤلاء المقهورين لابد أنها كانت تحمل حقدا كبيرا في داخلها، وشرفا جريحا حاولت أن ترد اعتباره. فجأة أدرك أنها عاشت يتيمة و عربية في مجتمع لا يرحم اليتم ولا يقبل العروبة.

وفي نهاية روايته يعود ياسمينة خضراء بالأحداث إلى بداية الرواية حيث يصور عملية انتقامية يقوم بها الجيش الإسرائيلي ضد المدنيين الفلسطينيين تسفر عن عدد كبير من الضحايا على رأسهم أمين والشيخ مروان، وهكذا تنغلق دائرة العنف دائرة لا سبيل للنجاة منها.